الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

رقم التسجيل .....

الرقم التسلسلي .....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص فلسفة تطبيقية بعنوان:

الثقافة والهوية عند فرانز فانون

من اعداد الطالبتين:

❖ بدة حياة

❖ غريب يسرى

اشراف: د. كحول سعودي

اعضاء لجنة المناقشة :

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة
د. حاج علي كمال	أستاذ محاضر ب	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
د. كحول سعودي	أستاذ محاصر أ	مشرفا ومقررا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
د. شويني علي	أستاذ مساعد أ	مناقشا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2021 – 2022 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي انار علينا درب العلم والمعرفة واعاننا
على أداء هذا الواجب ووفقنا في إتمام هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان الى الدكتور سعودي
كحول تقديرا منا له على كل ما قدم لنا من نصائح
وتوجيهات علمية ومنهجية وعلى سعة الصدر وصبره معنا
في اعداد هذا البحث.

كما نتقدم بأعز عبارات الشكر والامتنان الى كل أساتذة
قسم الفلسفة كل باسمه ولكل من قدم لنا يد المساعدة
من قريب او بعيد.

شكرا جزيلا
ووفقنا الله واياكم

الإهداء

الى والدي الحبيبين اطال الله في عمرهما

الى كل فرد من افراد عائلتي

الى صديقتا دربي يسرى واحلام

الى كل من يؤمن بعظمة الوجود ويسعى جاهدا وراء

الحقيقة الى كل من يقدس الانسان ويسعى لحريته

اهدي هذا العمل المتواضع

الإهداء

الى امي العزيزة والى ابي الغالي والداي الحبيبان
اللذان دعماني وعلماني لأصعد السلم بتوازن
وثبات.

الى اخي واختي هارون ورحمة.

الى عائلتي التي وقفت بجانبي (جدتي مليكة خالاتي
خديجة وامينة وسعيدة).

الى روح جدي المجاهد رحمه الله وانعمه

الى كل من ساعدني ودعمني خلال مشواري
الدراسي.

اهدي هذا العمل

مقـدمة

تعد مرحلة التفكير فيما بعد الكولونيالية من اهم مراحل الفكر الفلسفي حيث شهدت الفلسفة في هده المرحلة تحولا بارزا من حيث اهتماماتها، فأصبحت تتطرق الى العديد من القضايا ذات صلة وطيدة بما يعيشه شعوب العالم الثالث نتيجة ما تعرضت اليه من اضطهادات وقمع وتنكيل من الاستعمار، الذي كان متعدد الجوانب والمجالات لأنه لم يكن استعمار جغرافي فقط بل كان استعمار ثقافي ، يسعى من خلال هذا الى القضاء على ثقافة شعوب العالم الثالث ومحو هويتهم واستبدالها بثقافته اعتقادا منه ان ثقافته ارقى وانقى ثقافات العالم وبالتالي ينبغي على كل الشعوب ان تتبع الثقافة الغربية.

ان هذا الامر ادى الى بروز نظرية النقد الثقافي التي تتمثل في الدراسات الثقافية ما بعد الكولونيالية كرد فعل على افعال الاستعمار وممارساته غير المشروعة من اجل رد كل ما تم سلبه من شعوب العالم الثالث بدءا من الحرية وصولا الى الهوية مرورا بالثقافة التي كانت عبر التاريخ مصدرا لكل الهويات والانتماءات، بل شكلت قوة يتم من خلالها تقسيم العالم وتصنيف البشر حسب الثقافات الموجودة في العالم وكذلك من خلال مستوى تطور هذه الثقافات، حيث تم وضع الثقافة الغربية كمعيار يتم من خلاله الحكم على هذه الثقافات بالتقدم والرقي او التخلف والانحطاط، ومن ثم الكشف عنما اذا كانت هذه الثقافة صالحة او انها ثقافة متحجرة غير صالحة يجب استبدالها بثقافة افضل منها. الا ان الثقافة البديلة دائما تكون الثقافة الغربية.

ان تمسك الغرب بثقافته واعتبارها اسمى الثقافات وارقاها لقي انتقادات كبيرة من طرف اصحاب الدراسات ما بعد الكولونيالية لان هذا التمسك لا يعكس الا المركزية الغربية الرامية الى السيطرة على العالم

والهيمنة على شعوبه، وهذه المسألة نالت اهتمام فرانز فانون*، الذي انصب اهتمامه في الكشف على الايديولوجيا الغربية الخفية والكامنة خلف تواجده في دول العالم الثالث، التي كانت غايته الاولى من اجل زيادة نفوذه وتوسيع نطاق سلطته مستعينا في ذلك بالعديد من الوسائل والاساليب التي تراوحت ما بين ما هو مادي تمثل في القوة العسكرية وما هو معنوي تمثل في مهاجمة ثقافة شعوب العالم الثالث وزرع الشعور بالدونية في نفوسهم من اجل اضعاف قدرتهم على المقاومة.

ان الثقافة كانت من بين المفاهيم التي تعد مرجعية اساسية في تحديد هوية الافراد وانتماءاتهم التاريخية والجغرافية، فعلى أساس الثقافة تعرف هوية الافراد وتتحدد لأنها تعبر عن حقيقتهم وتاريخهم الوجودي، ولعل هذا كان من بين الاسباب التي قادت فانون الى الاهتمام بالثقافة وتأثيراتها على شعوب العالم التي أصبحت تعيش أزمة هوية بفعل انبهارها بثقافة الغرب الذي قادها إلى تقمص هويته ظنا منه ان اتباع الثقافة الغربية سيحسن صورته ويرتقي به إلى مرتبة الإنسان الغربي باعتباره النموذج الأعلى.

ان هذا الانفصام الهووي الذي تعيشه شعوب العالم الثالث بين الاتباع والعودة الى الاصول جعلهم في حالة جذب وتنافر مع ذواتهم، وهذا الامر لاحظه فرانز فانون في شعوب العالم الثالث التي تأثرت ثقافيا بالاستعمار الاوروبي، فأصبحت نتيجة ما زرعه فيها من شعور بالنقص تهرب من هويتها وتتقمص هوية جديدة مما انعكس سلبا عليها، وهذا التأثر لم يكن لصالحهم بل كان لصالح الاستعمار الغربي لأنه دليل

* ولد فرانز فانون في 1925 وتوفي في 1961، وهو طبيب نفساني وفيلسوف اجتماعي من مواليد فور دو فرانس، خدم خلال الحرب العالمية الثانية في الجيش الفرنسي وحارب ضد النازيين، التحق بالمدرسة الطبية في مدينة ليون، وتخصص في الطب النفسي، ثم عمل طبيبا عسكريا في الجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي، عمل رئيسا لقسم الطب النفسي في مستشفى البليدة، انخرط منذ ذاك الحين في صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية، وفي عام 1955، انضم فرانز فانون كطبيب الى جبهة التحرير الوطني الجزائرية، عمل طبيبا في مشفى منوبة بتونس، ومحررا في صحيفة المجاهد باسم الجبهة، كما تولى مهمات تنظيمية مباشرة وأخرى ديبلوماسية وعسكرية، من ابرز اعماله روايته الشهيرة "معذبو الأرض"، صدرت عام 1961م، وأيضا كتابه بشرة سودا اقنعة بيضاء صدر في عام 1952م.(علي قصير، فرانز فانون فيلسوف المعذبين في الأرض، مجلة الاستغراب، صيف 2018).

على ضعف المقاومة والخضوع لإرادة المستعمر وسلطته، لان الشعوب المتخلفة تستمد رغبتها في التحرر من خلال العودة الى مقومات وجودها التي تنحصر في الثقافة.

ان اختيارنا لموضوع الثقافة والهوية عند فرانز فانون تكمن خلفه جملة من الاسباب منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي.

اما الاسباب الذاتية: فتعود الى ميل ورغبة خاصة في دراسة الثقافة والهوية والتعرف على موقف فرانز فانون الذي لفت انتباهنا من بين جملة من مفكري ما بعد الكولونيالية نظرا لاهتمامه بالثورة الجزائرية ومساندته للقضية الجزائرية ورغبته في حصول الشعب الجزائري على الحرية، فكل هذا اثار في نفوسنا شغف التعرف أكثر على فلسفته.

فأما الاسباب الموضوعية فتتمثل في محاولة ربط الهوية بالثقافة والكشف عن الدور الذي تلعبه الثقافة في تحديد هوية الشعوب، ومدى تأثير الثقافة على العلاقات الإنسانية، مع ابراز الدور الإيجابي للثقافة فهي ليست سببا للتوترات والانقسامات فقط، بل لها دور اخر فهي قادرة أيضا على تحقيق الامن والاستقرار اذا ما تم الكشف عن اصولها الأولى القائمة على الهجنة، كما قمنا باختيار هذا البحث للتعرف اكثر على شخصية مهمة في مجال الدراسات ما بعد الكولونيالية خاصة فيما يتعلق بموضوع الهوية والثقافة عند فانون والذي لم يلقى اهتمام كبير من طرف الباحثين، لأنه وحسب الدراسات التي عثرنا عليها حول هذه الشخصية لم نعثر على دراسة تناولت موقف فانون من الهوية والثقافة.

ان طبيعة الموضوع قد اقتضت منا الاعتماد على المنهج التاريخي في تتبع تطور مفهوم الثقافة والهوية من الفلسفة اليونانية وصولا الى الفلسفة المعاصرة، والمنهج التحليلي الذي وظفناه في تحليل بعض اقوال وافكار فرانز فانون، والمنهج المقارن اعتمدنا عليه في مقارنة موقف فانون من الهوية الثقافية مع غيره من مواقف الفلاسفة المعاصرين.

لقد انطلقنا في بحثنا هذا من طرح إشكالية أساسية تمثلت في: ما العلاقة بين الثقافة والهوية عند فرانز فانون؟

لقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية يمكن صياغتها كما يلي:

ما المقصود بالثقافة والهوية عند فانون؟

ما العلاقة بين الثقافة والهوية عند فانون؟

لماذا استهدف الاستعمار الثقافة؟

هل يمكن أن تكون الثقافة أسلوبا للمقاومة عند فانون؟

ما المقصود بالهوية النقية عند فانون؟

هل يمكن للهوية الهجينة ان تكون مدخل للتعايش السلمي بين الشعوب؟

ما علاقة المركزية الغربية بالخصوصية الثقافية؟

كيف يمكن للثقافة ان تنتقل من الخصوصية الى الكونية عند فانون؟

وللإجابة عن المشكلة الرئيسية والتساؤلات الفرعية عالجنا موضوع البحث في خطة تتألف من مدخل وثلاثة فصول ونتائج الدراسة.

مقدمة: كان بمثابة نظرة عامة حول الموضوع حاولنا فيه تبيان أهمية الثقافة في الفكر الفلسفي المعاصر وبشكل دقيق في الدراسات ما بعد الكولونيالية وارتباطه بمفهوم الهوية، مع طرحنا لجملة من التساؤلات نسعى جاهدين للإجابة عنها وفق خطة ومناهج معينة مع ذكرنا لأهم المصادر والمراجع المستعملة.

الفصل الاول: بعنوان الثقافة بين الأبعاد القومية والارادات الإستعمارية عند فرانز فانون يضم مجموعة من العناصر اولها مفهوم الثقافة الذي يتألف من ثلاثة عناصر: مفهوم الثقافة لغة، ومفهوم الثقافة في الفلسفة، ومفهوم الثقافة عند فرانز فانون. ثانيها موقف فرانز فانون من الثقافة القومية ويتكون هذا المبحث من ثلاثة

عناصر: الأول بعنوان مفهوم الثقافة القومية، والثاني بعنوان الثقافة القومية في اعمال فرانز فانون، اما المبحث الثالث والأخير فعنوناه بعلاقة الثقافة بالاستعمار عند فرانز فانون ويتكون هذا المبحث من عنصرين: الأول بعنوان الاستعمار في الدراسات ما بعد الكولونيالية، والثاني بعنوان الثقافة والاستعمار عند فرانز فانون.

الفصل الثاني : كان بعنوان الـــهويـة من النقاء إلى الهجنة عند فرانز فانون تناولنا فيه ثلاثة مباحث، حيث حاولنا في المبحث الاول تبيين مفهوم هوية من خلال ثلاثة عناصر الأول مفهوم الهوية لغة، والثاني مفهوم الهوية في الفلسفة، والثالث مفهوم الهوية عند فانون، وفي المبحث الثاني تحدثنا فيه عن موقف فرانز فانون من الهوية النقية ويتضمن عنصرين: الأول بعنوان مفهوم الهوية النقية والثاني بعنوان موقف فرانز فانون من الهوية النقية، اما المبحث الثالث فتطرقنا فيه الى الهوية الهجينة عند فرانز فانون ويتكون من عنصرين: الأول بعنوان مفهوم الهجنة في الدراسات ما بعد الكولونيالية والعنصر الثاني بعنوان هجنة الهوية عند فرانز فانون.

الفصل الثالث : عنوناه بالهوية الثقافية وابعادها الكونية عند فانون، يحتوي على ثلاث مباحث الاول بعنوان الثقافة واصول الهوية يحتوي على ثلاثة عناصر: الاول تمثل في اللغة والهوية، والثاني تمثل في الدين والهوية والثالث تمثل في التاريخ والهوية، اما المبحث الثاني كان بعنوان المركزية الغربية عند فرانز فانون يضم عنصرين: الاول بعنوان مفهوم المركزية الغربية ومصادرها، اما العنصر الثاني بعنوان نقد المركزية الغربية عند فرانز فانون، اما المبحث الاخير فعنوانه الثقافة والهوية من الخصوصية الى الكونية يضم عنصرين: الأول معنون بمفهوم الكونية في الفكر الفلسفي المعاصر والثاني الثقافة والهوية من الخصوصية إلى الكونية عند فرانز فانون.

خاتمة: عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات التي استخلصناها من بحثنا المعنون بالثقافة وهوية عند فرانز فانون.

ومن اجل انجاز هذا العمل اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع ذات صلة بموضوعنا، فمن بين أهم مؤلفات فانون التي اعتمدنا عليها نذكر معذبو الأرض، وكتاب بشرة سوداء أقنعة بيضاء، كما اعتمدنا

أيضا على بعض المصادر الثانوية للعديد من الفلاسفة أمثال ادوارد سعيد، غياتري سبيفاك، هومي بابا ... الخ.

بالإضافة إلى عدد قليل جدا من المؤلفات التي تناولت فلسفة فانون مثل كتاب محمد الميلي، فرانز فانون الثورة الجزائرية، بيل اشكروفت واخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، روبرت يونغ، ما بعد الكولونيالية.

كما اطلعنا على بعض الدراسات الأكاديمية التي عنيت بتوضيح بعض الجوانب الفلسفية من فكر فانون والتي لها صلة بموضوعنا مثل أطروحة الدكتورة لحيفري عبد الحميد بعنوان كتابات فانون وابعادها السيكوسوسيولوجية في الكشف عن التغيرات الراديكالية للشخصية الجزائرية في مواجهة الاستعمار.

المبحث الأول مفهوم الثقافة عند فرانز فانون

أولا: مفهوم الثقافة لغة

ثانيا مفهوم الثقافة عند الفلاسفة

ثالثا مفهوم الثقافة عند فرانز فانون

المبحث الثاني: موقف فرانز فانون من الثقافة القومية

أولا: مفهوم الثقافة القومية

ثانيا الثقافة القومية في اعمال فرانز فانون

المبحث الثالث: علاقة الثقافة بالاستعمار عند فرانز فانون

أولا: الاستعمار في الدراسات ما بعد الكولونيالية

ثانيا الثقافة ومشروعية الاستعمار

تمهيد:

ان اهتمام المفكرون بالدراسات الثقافية كان بدافع ما احدثه الاستعمار من اثار سلبية كادت ان تلغي ثقافتهم من خارطة الثقافات، وكذلك بسبب التهميش الثقافي الذي يتعرضون له على الصعيد العالمي والدولي، والتمييز الذي فرضه الغرب على الشعوب العربية والافريقية بشكل عام، ولعل هذا التمييز كان الدافع الرئيس الى تمسك الشعوب بثقافاتها التي لها ابعاد لا تقف عند عتبة الثقافة بل تتجاوزها الى حدود الهوية والانتماء والاصل الأول، وهذا الامر لفت اهتمام فرانز فانون الذي جعل من الثقافة موضع اهتمام بل موضوعا أساسيا في كتاباته واعماله التي باتت تصنف كمرجعية أساسية في الدراسات ما بعد الكولونيالية، فاذا كانت الثقافة لب فلسفة فانون فما هي الثقافة عنده؟ وهل اكتفى فانون بالثقافة الوطنية ام تجاوزها الى ثقافة قومية؟ وكيف تمكن فانون من الكشف عن نوايا الاستعمار الحقيقة اتجاه ثقافات الشعوب الافريقية؟

مفهوم الثقافة عند فرانز فانون

أولا: مفهوم الثقافة لغة:

ان البحث في ماهية الثقافة من الناحية اللغوية يقودنا الى الرجوع الى اصل هذه الكلمة واللغة التي كانت حاملة لها لان "اصل الكلمة الفرنسية culture ينحدر من الكلمة اللاتينية cultur. وهي كلمة كانت رائجة في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، وقد اشتقت بدورها من الجذر اللاتيني colere، الذي تفرعت عنه ثلاثة دلالات، تحولت تباعا الى كلمات متميزة هي كلمة: culte وتدل على العبادة والتقديس، وكلمة colunu وتعني اعمار الارض والاستيطان، ثم كلمة: cultura التي تعني حرث الأرض وزراعتها"[1].

وجات الثقافة في لسان العرب لابن منظور انها" ثقف الشي ثقفا وثقافا وثقوفة: حذقه. ورجل ثقف وثقف: حاذق فهم. ولم يرد فيه لفظ مثقف. اما لفظ الثقافة فقد ورد كمصدر، بمعناه: الحذق: وثقف الرجل ثقافة: أي صار حاذقا خفيفا"[2].

وورد في مجمع اللغة العربية المعاصرة ان الثقافة: ج ثقافات (لغير المصدر): وهي مصدر ثقف وتعني مجموع العلوم والمعارف والفنون التي يدركها الفرد[3].

[1] – عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط 1، 2013، ص 17.

[2] – عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والاشكاليات... من الحداثة الى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006، ص 30.

[3] احمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ص 318.

ثانيا: مفهوم الثقافة عند الفلاسفة:

ان تحديد مفهوم الثقافة يعد في حد ذاته اشكالية فلسفية، وهذا ما نلمسه من خلال وجود تعريفات متعدد واراء مختلفة حول ماهية الهوية في الفكر العربي والغربي على حد سواء، فلقد ارتبطت إشكالية المفهوم بنشأته وظهوره في الحقول الفلسفية والأدبية، وكذلك التاريخية، لأنه وكما اتفق معظم الفلاسفة والمؤرخين ان مفهوم الثقافة مفهوم حديث النشأة لم يكن له وجود قبل القرن الثامن عشر.

يرى مالك بن نبي(1905-1973) ان هذا المفهوم (الثقافة) حديث العهد و النشأة لم يكن موجودا من قبل في الحضارات القديمة ولا في الحضارة الاسلامية حيث تشكل مع عصر النهضة الاوروبية لتعكس بذلك التطور الفكري والادبي الذي عرفته اوروبا، اما العرب والمسلمين فقد اخذوا المفهوم من اوروبا فهو ترجمة لكلمة culture المشتقة بدورها من الكلمة اللاتينية cultuvare والتي تعني الزراعة، و تطور معناها حتى اصبح يطلق على كل ما انتجه الانسان الاوربي، اما عند العرب فلازال هذا المفهوم غير محدد بدقة فالبعض يرجعه الى الفعل ثقف الذي تعود اصوله للعصر الجاهلي و ذكر في العديد من آيات القران مثل قوله تعالى "**و اقتلوهم حيث ثقفتموهم** " (سورة البقرة الآية 191). وبالرغم من ذلك يقول مالك بن نبي: " **ان كلمة (ثقافة) عربية لم تكتسب الى الان قوة التحديد الذي كان لنظيرتها الاوروبية. وإننا مضطرون من اجل هذا الى ان نقرنها بأعمالنا الفنية**"[1].

هذا ما يجعل من المصطلح الغربي دعامة ومرجعية لا بد منها في تحديد مفهوم الثقافة في الحضارة العربية. ومع ذلك فقد سعى بن نبي الى وضع تعريف دقيق للثقافة في كتابه مشكلة الثقافة حيث يقول انها

[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 1، 2000، ص 26.

عبارة عن:" مجموعة من الصفات الخلقية، القيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال اولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته"[1].

اما إذا عدنا الى تعريف الثقافة في الفكر الغربي فسنجد ان هذا المفهوم يعود بجذوره التاريخية الى الاديب الروماني شيشرون(106ق.م- 43ق.م) الذي استعمله "للدلالة على النشاطات والفعاليات التي تساهم في تنمية العقل والروح. لكن ما يسترعي الانتباه حقا هو غياب هذه الكلمة في الادب اليوناني القديم وبحسب اطلاعنا في هذا المجال فان الكلمة تقوم مقامها paideia. وقد استعملت في كتابات الفلاسفة اليونان للدلالة على طرق وأساليب التربية والتنشئة وتعليم المعارف والفنون الضرورية لتكوين المواطن الصالح".[2]

الا ان وضع تعريف مضبوط ودقيق للثقافة يعود الى الانثروبولوجي الإنجليزي ادوارد تايلور(1832-1917م) الذي سعى بدوره الى جعل الثقافة موضوعا مركزيا واساسيا في الدراسات الانثروبولوجية حيث يقول في تعريفه للثقافة بانها ذلك " الكل المركب من المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والآداب والأعراف والعادات وغيرها، يكتسبها الفرد باعتباره أحد افراد المجتمع"[3]، وهذا يدل على ان مفهوم الثقافة عنده اخذ بعيدين بعد مادي واخر غير مادي وكلاهما يعد انتاجا بشريا محضا.

ان التعريف التايلوري للثقافة شكل فيما بعد مرجعية مفهومية للثقافة حيث نجد ان اغلب المهتمين بها يعودون الى تعريف تايلور ويحاولون احداث تغييرات على المفهوم لكن رغم ذلك لم يتمكنوا من تجاوزه، وهذا ما نلمسه عند العالم الأنثروبولوجي كلود ليفي ستروس(1908-2009م) الذي يعرف هو الاخر الثقافة

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1960، ص83.

[2] عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، ص 18.

[3] جيلالي بوبكر، الهوية والعولمة، الهوية والاختلاف، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد 26، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط 1، 2016، ص 402.

بانها "مجموع العادات والمعتقدات والمؤسسات، مثل الفن، والقانون، والدين، وتقنيات الحياة المادية. انها باختصار جميع العادات والمهارات التي يكتسبها الانسان بصفته عضوا في مجتمع ما"[1] وبهذا التعريف يؤكد كلود ليفي ستروس على البعد الاجتماعي للثقافة لان هذه الأخيرة لا يمكن ان تتشكل وتظهر الى داخل الجماعة، والفرد بمعزل عن مجتمعه لا يمكنه ان ينتج أي ثقافة.

اما الماركسية فقد ارادت ان تمنح الثقافة بعدا ماديا وتاريخيا واجتماعيا عندما عرفتها بانها "كل القيم المادية والروحية ووسائل خلقها واستخدامها ونقلها، التي يخلقها المجتمع من خلال سير التاريخ "[2]، وهذا يعني ان الثقافة انتاج بشري تكوّن عبر التاريخ.

اما فرويد(1856-1939م) فقد حاول نقل مفهوم الثقافة من حقل الانثروبولوجيا نحو الدراسات النفسية مما جعله يخلص الى تعريف الثقافة على انها " مؤسسة اجتماعية، نشأت خلال تطور التاريخ البشري، باعتبارها سلطة رمزية للمراقبة، وضبط الطرق التي يتم من خلالها تصريف الغرائز الجنسية والعدوانية عند الانسان، للدفع بهذا الأخير نحو التحرر التدريجي من حالة طبيعته الحيوانية البدائية"[3]

اما تيري ايجليتون(1943م) فانه يرى ان الثقافة من بين الكلمات الإنجليزية الأكثر تعقيدا لان هذه الكلمة من الصعب إيجاد تعريف دقيق لها كونها مصطلح يتداخل من الناحية المفهومية مع مفهوم الطبيعة بل انها مشتقة من الطبيعة حيث يقول " ان احد معانيها الاصلية قديما هو الزراعة او العناية بالنماء الطبيعي، ويصدق الشي نفسه على كلمات من مثل القانون والعدالة وعلى مصطلحات من مثل راس المال واوراق

[1] عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، ص 27.

[2] عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، ص 32.

[3] المرجع نفسه، ص 26.

مالية والعملات النقدية او الإسترليني، وكلمة coulter(سكين المحراث)، وهي الكلمة قرينة لكلمة culture تعني شفرة المحراث"[1].

اما في الدراسات ما بعد كولونيالية والنقد الثقافي فقد اخذت الثقافة مسارا مختلفا عما سبق، حيث نجد هومي بابا(1949م) يرى ان " الثقافة عبارة عن مزيج من العادات والتقاليد التي كونها الانسان في أماكن مختلفة ومتعددة، كما اقر بان كل الفضل يعود في تشكلها الى ذلك الاختلاط الذي صاحب ترحال الانسان"[2]، وهذا ما يقودنا الى القول ان مفهوم الثقافة في الدراسات الانثروبولوجية بقي سائدا أيضا في الدراسات ما بعد الكولونيالية خاصة فيما يتعلق بالبعد المكاني وترحال الثقافات من منطقة الى أخرى.

فان كانت الانثروبولوجيا بزعامة مورغان وتايلور قد انتهت ال القول بان الثقافة عرفت الهجرة عبر التاريخ والمكان فان الدراسات ما بعد الكولونيالية قد اكدت هذا الطرح الذي كان واضح في فلسفة ادوارد سعيد(1935-200.م) وايمي سيزار(1913-2008م) وغياتري سبيفاك(1942-م) وكذلك هومي بابا الذي" يتعامل مع الثقافة كمفهوم مكاني، الذي يبرز ان ما تبحث عنه الذات هو عن موقع لها في هذا الفضاء القيمي، ومن خصوصيات هذا المكان انه غير ثابت وهو متداخل مع امكنة اخرى"[1].

وإذا كان فرانز فانون من فلاسفة الدراسات ما بعد كولونيالية فما مفهوم الثقافة عنده؟

ثالثا: مفهوم الثقافة عند فرانز فانون:

تشكل الثقافة موضوعا جوهريا واساسيا في اعمال المفكر ما بعد كولونيالي فرانز فانون، فكل دراساته التي أقامها وفلسفته الثورية تتمحور حول مفهوم الثقافة التي عادة ما يستخدمها كمرادف للمقاومة، أي ان

[1] تيري ايجليتون، فكرة الثقافة، ترجمة: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012، ص 13.

[2] زموري العياشي، الهوية الثقافية من الخصوصية الى الكونية، مجلة أوراق فلسفية، اعمال الملتقى الدولي الكونية والخصوصية الثقافية، قالمة، 2019، ص 389.

الثقافة هي أسلوب المقاومة والمقاومة ما هي الا ثقافة يريد المستعمر ان يحتفظ بها حفاظا على هويته وفي مفهوم الثقافة يقول فانون: "ان الثقافة في جوهرها نقيض العادات الجامدة التي ليست الا حطام الثقافة"[1]، وهذا يعني ان الثقافة ليست عبارة عن عادات وتقاليد موروثة ليس لها قيمة او تأثير على واقع الانسان بل الثقافة اعمق من ذلك لأنها تحمل بين ثناياها كل ما من شانه ان يغير واقع الانسان، فالثقافة هي ثورة على ما هو مألوف وغير مألوف.

ان الثقافة عند فرانز فانون تتجلى في التاريخ واللغة وكذلك في العرق حيث اعتبر هذا الأخير (العرق) ظاهرة ثقافة وإنتاج ثقافي بامتياز، ويربط فانون مفهوم الثقافة بالثقافة القومية، لأنه يرى ان كل حديث عن ثقافة ما هو الا حديث عن ثقافة قومية لأنه جعل مقومات الثقافة ثلاثة وهي التاريخ واللغة والعرق وهو ما يصدق على الثقافة القومية وفي هذا يقول فانون:" ان كل ثقافة انما هي ثقافة قومية قبل كل شيء"[2]، وما دامت الثقافة قومية فإنها مصدر للهوية وعلى أساسها تتحدد هويات الشعوب وتتمايز فيما بينها.

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط 2، 2015، ص 181.

[2] فرانز فانون، معذبو الأرض، ص 175.

الثقافة القومية عند فرانز فانون

أولا: مفهوم الثقافة القومية

ان الثقافة القومية تشكل احدى الموضوعات الأساسية في الفكر الحديث وتزامنت مع نمو وتطور الدولة القومي، التي امنت بان السبيل الى الوحدة هو وجود قومية مشتركة غير ان هذه القومية لا يمكن ان تتحقق الا بحضور الثقافة التي تجمع بين اللغة والدين والتاريخ كما يدخل في ذلك العادات والتقاليد، لكن تبقى ثلاثية اللغة والدين والثقافة هي المسيطرة في تحديد مجال القومية، فظهر إثر ذلك العديد من القوميات العربية والغربية، فأصبحت كل من هذه القوميات لها مجال ثقافي يميزها عن باقي القوميات الاخرى.

كما اشرنا سابقا ان الثقافة القومية لم تظهر الى الوجود الا مع العصر الحديث في أوروبا وبرزت بشكل اكبر لدى الالمان الذين سعوا الى بناء امة موحدة تحت راية اللغة والتاريخ لانهما يعدان المكون الأساسي للثقافة الألمانية، كما نعثر على هذه القومية في اعمال العديد من المفكرين الالمان مثل هيغل(1770-1831م) الذي كرس هو الاخر القومية ودافع عنها وجعلها مطلب ضروري للحفاظ على وحدة الشعب الألماني، ذهب كل من فيكو وهيردر(1744-1803م) و هامان إلى " أن كل ثقافة تمتلك ترابطا منطقيا داخليا وعضويا، وان هذه العناصر تشكل مجتمعة روحا، وعبقرية، وفكرة قومية ليس بمقدور شخص خارجي النفاذ إليها إلا بواسطة فعل من التعاطف التاريخي "[1].

أما ماريو باي(1901-1978م) فقد اعتبر اللغة المحدد الأساسي لهوية الفرد وانتمائه الاجتماعي، حيث رأى أنّ هوية الشعوب تستند إلى عامل اللغة بالدرجة الأولى وهو ما يتضح في قوله: "إذا كنت تتكلم

[1] فريد بوشي، ادوارد سعيد الانسني الراديكالي في اصول الفكر ما بعد الكولونيالي، ترجمة: محمد الجرطي، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 2018، ص 163.

لغتي فأنت تنتسب إلى مجموعتي، أما إذا اختلفت لغتك عن لغتي فأنت تنتمي إلى جماعة أخرى غير جماعتي، ونحن نتصرف على هذا الأساس ..."[1]

ان الدعوة الى ضرورة التمسك بالثقافة القومية امتد بعد ذلك الى الدول العربية التي كانت تعيش تحت سيطرة الاستعمار، فرأت في الثقافة القومية السبيل الوحيد الذي يمكن من خلالها ان تعيد شملها وتنبعث من جديد كأمة موحدة، فالثقافة القومية تحمل في طياتها هوية الشعوب العربية وعلى أساس هذه القومية تحدد هويتها التي الغاها الاستعمار وحاول محوها من خارطة التاريخ فبرز اثر هذا في الفكر العربي العديد من دعاة القومية الثقافية أمثال ساطع الحصري(1880-1968م) وزكي الارسوزي(1899-1968م)، فالأول رأى ان القومية العربية لا تتحقق الا بالدين والتاريخ والثاني رأى ان قومية الامة العربية تكمن في لغتها وتاريخها مقتفيا بذلك اثر الفلاسفة الالمان الذين بنوا القومية على اللغة والتاريخ وهو أيضا ما دع اليه عمر فاخوري(1895-1946م) الذي قال:" لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية او المبدأ العربي ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلمون على قرآن النبي الكريم، والمسيحيون الكاثوليك على إنجيل المسيح الرحيم، والبروتستانت على تعاليم لوثر الإصلاحية و ثوريو فرنسا في عهد الرعب على مبادئ روسو الديمقراطية ويتعصبون لها تعصب الصليبيين لدعوة بطرس الناسك "[2].

ثانيا: الثقافة القومية عند فرانز فانون:

يرى فرانز فانون ان الثقافة القومية تعد ضرورة لا بد من استحضارها في مواجهة الاستعمار، لأنه ومن خلال الدراسات التي قام بها على الاستعمار الفرنسي في الجزائر اكتشف ان هذا الأخير يسعى الى طمس ثقافة الشعب الجزائري واستبدالها بثقافته، وهو الامر عينه الذي يقوم به اتجاه الشعوب الأخرى، فطمس

[1] ماريو باي، اسس علم اللغة، ترجمة: احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 8، 1998، ص 207.

[2] عمر فاخوري، كيف ينهض العرب، مطبعة الاهلية، بيروت، 1331 هـ، ص 8.

ثقافات الشعوب كانت الغاية الأولى للمستعمر في أي مكان من العالم، ذلك لان الاستعمار على دراية بمدى تأثير الثقافة على الشعوب خاصة الثقافة الدينية، فهي تحشدهم وتدفعهم الى النهوض في وجه المستعمر وتدفعهم الى التضحية من اجل بلدانهم.

كما يعتقد فانون ان الثقافة القومية هي السبيل الوحيد لتوحيد الشعوب ضد الاستعمار، لان هذه الوحدة تزيد من قوة الشعوب وتنمي فيهم روح المواطنة والوطنية، وتوقظ فيهم الوعي بالحرية وضرورة القيام بالثورة من اجل تحقيقها لان هذه الأخيرة لا يمكن بلوغها الا من خلال المقاومة والثورة، وتمسك المستعمر بثقافته القومية هو دليل واضح على رفضه للاستعمار لان " كل ثورة وطنية تهدف فيما تهدف اليه، الى تحقيق نوع من رد الاعتبار للشخصية الوطنية اعتمادا على تاريخها القريب او البعيد، بما يدعم كفاح حاضرها ويحقق الترابط مع أهدافها المقبلة، هذا الترابط الذي تجد فيه الثورات ذاتيتها وعنوانها وشخصيتها واصالتها"[1]، بالعودة الى مقومات وجودها التي تجتمع تحت كلمة القومية، التي لا يمكن اعتبارها كلمة فقط بل هي كلمة تحمل دلالة الفعل أيضا لأنها تعكس الشعور المشترك الرافض للتواجد الاستعماري في الدول المحتلة.

ربط فانون تأسيس الامة بوجود ثقافة قومية ذلك ان الثقافة الواحدة المبنية على اللغة والتاريخ المشترك هي السبيل الذي ينبغي على كل الشعوب الباحثة عن الوحدة ومن اجل توحيد صفوفها ضد الاستعمار الذي سعى هو الاخر الى تفكيك هذا الوحدة بالاعتماد على العديد من الأساليب والتي يعتبر فرانز فانون ان الجانب الاقتصادي أولها، لأنه وبمجرد ظهور حركة قوية نجد الاستعمار يسعى الى شل حركتها والتحجج بوجود تخلف على المستوى الاقتصادي والاجتماعي وانه ينبغي التصدي لهذا أولا بإنشاء ورشات لتشغيل

[1] محمد الميلي، فرانز فانون الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015، ص 65.

العاطلين على العمل وهذا في نظر فانون ما هي الا إجراءات خادعة لها اهداف خفية وهي تأخير الوعي القومي وابعاده عن أهدافه ومطالبه الجوهرية .[1]

تبنى فكرة القومية عند فرانز فانون على التاريخ ذلك لان دعاة الثقافة القومية في الغالب يلجؤون الى التاريخ من اجل ممارسة نشاطهم وفي هذا الصدد يقول فانون" ان هؤلاء الرجال يشعرون بأنهم يوشكون ان يفقدوا أنفسهم، وان يفقدهم شعبهم، فتراهم يندفعون اندفاعا عنيفا، وقد تأججت قلوبهم وطاشت عقولهم، الى الاتصال بأقدم ينابيع شعبهم، بأبعدها عن عهد الاستعمار"[2]، لان العودة الى الأصول الأولى تكون بمثابة وعي بالذات وبتاريخها العريق الذي يثبت عدم تبعيتها للاستعمار، فهي دليل على الاستقلال الثقافي والحضاري عبر التاريخ وهو أيضا ما ذهب اليه المفكر الفلسطيني ادوارد سعيد الذي رأى بان "كلنا دون استثناء ننتمي إلى نوع ما من جماعة قومية، أو دينية أو إثنية: لا أحد لا يهم حجم الإحتجاج، فوق الروابط العضوية التي تربط الفرد بالعائلة والجماعة"[3]

يرى فانون ان التمركز حول الثقافة القومية ليس الغرض منه هو رد الاعتبار وحسب بل ان الغاية منه ابعد من ذلك بكثير، لان الامر له تأثير نفسي وعاطفي، والثقافة القومية المبنية على التاريخ تتجلى فيها كرامة الشعب وعظمته والشعوب عندما تكتشف هذا الامر تشعر بنشوة كبيرة تكون الحافز الى التصدي للاستعمار ومقاومته لأنها وجدت في تاريخها ذاتها التي عمد الاستعمار الى طمسها وتشويهها وفي هذا يقول فانون" ان الاستعمار لا يكتفي بفرض قانونه على حاضر البلاد المستعمرة وعلى مستقبلها، ولا يكتفي بتكبيل الشعب، ولا يكتفي بان يفرغ عقل المستعمل من كل شكل وكل مضمون، بل هو يتجه أيضا الى

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، ص 168.

[2] المرجع نفسه، ص 170.

[3] إدوارد سعيد، الآلهة التي تفشل دائما، ترجمة: حسام الدين خضور، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003. ص53.

ماضي الشعب المضطهد فيحاول بنوع من فجور المنطق ان يهدمه وان يشوهه وان يبيده".[1]، فكانت هذه السمة الغالبة على الاستعمار في كل أنحاء العالم، فعلى مر التاريخ لم يتم العثور على حالة استعمار تحفظ للشعوب رموز ثقافتها ومقومات وجودها، بل تسعى دوما الى ممارسة سياسة المحو الثقافي.

وكان هذا هو الحال مع الثقافة الزنجية التي سعى الاستعمار الى طمسها ومحو وجودها عبر التاريخ لولا جهود المثقفين الذين كانوا على وعي بثقافتهم القومية التي جعلتهم يتمسكون بها لأنها تعبر عن هويتهم وذواتهم ومن خلالها يمكن التصدي للاحتقار الغربي لهم لان هذا الاحتقار يمكن ان نجمله في مقولة لفرانز فانون الذي يقول" لقد تحدث الاستعمار عن الزنجي. قال ان هذه القارة الواسعة هي مرعى متوحشين، بلد موبوء بالخرافات والتعصب، بلد منحط محتقر ملعون من السماء، بلد يسكنه اكلة لحوم البشر، بلد زنوج"[2]، ان هذا الاحتقار هو ما سيولد في نفوس الزنوج الرغبة الى النهوض في وجه المستعمر ومقاومته انطلاقا من ثقافته القومية التي تحمل حقيقة اصوله الهووية والحضارية.

كما يضرب أيضا فرانز فانون مثالا على ذلك بالثقافة القومية العربية التي كانت بمثابة محرك للشعوب العربية في التصدي للاستعمار، اين استعانت هذه الشعوب بثقافتها في مواجهة الاستعمار، لان هذه الثقافة كان لها تأثير ودور كبير في توحيد صفوف الشعوب العربية ومن ثم توظيف هذه الوحدة في مقاومة الاستعمار الأوروبي وطردهم من الأراضي العربية وفي هذا الصدد يقول فانون:" ان الظاهرة الثقافية قد خرجت من اللاتميز الذي تتصف به في العالم الافريقي، والعرب لا يتوصلون دائما الى التخلي عن النظرة الذاتية إزاء الواقع الموضوعي. فتراهم لا يعيشون واقعا ثقافيا وطنيا بل عربيا"[3]، وهذا يحملنا الى القولان

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، ص 170.

[2] فرانز فانون، معذبو الأرض، ص 171.

[3] المرجع نفسه، ص 173.

الثقافة القومية عند فانون ليست أسيرة وطن واحد بل تجمع العديد من الأوطان التي توحدهم مقومات التاريخ واللغة المشتركة.

لكن في هذه المسالة نجد ان ما يعاب على فانون انه ينظر للقومية الثقافية العربية على انها مثل القومية الافريقية، بالرغم من ان الافريقية تضم العديد من القوميات اما العربية فهي قومية واحدة تجمع وتضم كل العرب الذين عمل الاستعمار على تجزئتهم لان " الثقافة العربية ثقافة واحدة منذ فجر وجودها الى يومنا هذا، وان هناك تراثا ثقافيا واحدا للعرب جميعا في وطنهم العربي كله، وان هذا التراث الثقافي ظل حيا طوال تاريخ العرب"[1]

اما الدول الافريقية في نظر فانون فقد عجزت عن اثبات قوميتها واحتوائها بفعل انحيازهم الى العرق الزنجي، أي انهم بدلا من ان يدافعوا عن ثقافتهم القومية ويحتوونها، مال اهتمامهم الى العرق على عكس الزنوج الذين كانوا يعيشون خارج الحدود الجغرافية الافريقية كالذين يقطنون في الولايات الامريكية الذين كان اهتمامهم منصب حول ثقافتهم وليس عرقهم بالرغم من انه لم يكن هناك اختلاف بينهم من حيث علاقتهم بالبيض او الاستعمار الذين ينظرون إليهم نظرة دونية تبخيسية يملأها الاحتقار.[2]

لعل عودة المثقفون الأفارق الى مسالة العرق كان بدافع من النظرة الغربية للثقافة الزنجية لان هذه الأخيرة كانت قائمة على التمييز العرقي، فالشعوب التي تنتمي الى العرق الغربي لها القدرة على انتاج الثقافة على عكس الأعراق الأخرى التي لم تتجاوز في نظرهم المرحلة الحيوانية، فالعرق بهذا كان هو لمحدد الرئيس للثقافة القومية، وان الفرد الافريقي او الزنجي كما يصفه فانون لا بد له ان يتقبل عرقه أولا قبل ان يدافع عن ثقافته القومية وفي هذا يقول فانون:" ان الرغبة في العودة الى أحضان الشعب تكون في بعض الأحيان أثناء

[1] – فرانز فانون، معذبو الأرض، ص ص 173-174.

[2] المرجع نفسه، ص 174.

هذه الفترة رغبة في ان نكون زنوجا، لا زنوجا يشبهون غيرهم من الناس، بل زنوجا زنوجا، زنوجا كلابا كما يريدنا البيض ان نكون".[1]

[1] المرجع نفسه، ص 178.

علاقة الثقافة بالاستعمار عند فرانز فانون

أولا: الاستعمار في الدراسات ما بعد الكولونيالية

لقد انصب اهتمام الدراسات ما بعد الكولونيالية على دراسة الاستعمار وتأثيراتها على الدولة مستعمرة، لان الاستعمار كان له تأثير كبير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لهذه الشعوب، لذا نجد ان مصطلح ما بعد الاستعمار يستخدم للدلالة على:" كل الثقافات التي تأثرت بالعملية الامبريالية من لحظة الاستعمار حتى يومنا الحالي"[1]، وهذا يعني ان الاستعمار أحد هذه الثقافات التي بقيت راسخة في ذاكرة الشعوب.

كما البحث في ماهية الدراسات ما بعد الكولونيالية يقودنا الى القول انها دراسات نقدية للاستعمار واسسه التي قام عليها من جهة، كما انها دراسة نقدية لواقع المجتمعات المتخلفة من جهة أخرى، "انه مصطلح يحاول العثور على القاسم المشترك بين مجتمعات العالم الثالث في مواجهة الاستعمار، وما تركه من اثار على الثقافات والمجتمعات"[2]، وبالتالي فان هذا المصطلح يشمل اهتمامات واسعة لكن القاسم المشترك فيها هو الاستعمار الذي غير احداث العالم، وحاول ان يحدث طفرة في مجتمعات العالم الثالث، لان غايته الأساسية لم تكن تدور حول التوسع الجغرافي فقط بل كان يسعى الى ما هو اهم من ذلك لان المحرك الأساسي للاستعمار هو الثقافة الغربية والامبريالية و" نظرية ما بعد الاستعمار تعمل على فضح الأيديولوجيات الغربية، وتقويض مقولاتها المركزية على غرار منهجية التقويض التي تسلح بها الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا لتعرية الثقافة المركزية الغربية ونسف أسسها الميتافيزيقية والبنوية"[3]، وإعادة الاعتبار لكل

[1] بن الدين خولة، الخطاب الاستعماري والنظرية ما بعد الاستعمارية فرانز فانون انموذجا، ص 274.

[2] المرجع نفسه، ص 275.

[3] المرجع السابق ، ص 273.

ما تم تهميشه ووضعه على هامش العالم بتعبير ميشال فوكو، لان نظرية النقد الثقافي هي أيضا مساءلة لتاريخ الاستعمار الغربي المشحون بالإمبريالية.

كما ان الدراسات ما بعد الكولونيالية تسعى الى التمييز بين الخطاب الاستعماري والخطاب ما بعد الاستعماري وفي هذا يقول سعد البازغي:" يشير المصطلح الأول الى تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات من نتاج يعبر عن توجهات استعمارية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب على أساس ان ذلك الانتاج يشكل في مجمله خطابا متداخلا بالمعنى الذي استعمله فوكو لمصطلح الخطاب. اما المصطلح الثاني، النظرية ما بعد الاستعمارية، فيشير الى نوع اخر من التحليل ينطلق من فرضية ان الاستعمار التقليدي قد انتهى، وان مرحلة من الهيمنة–تسمى أحيانا المرحلة الامبريالية او الكولونيالية–كما عربها بعضهم–قد حلت وخلقت ظروفا مختلفة تستدعي تحليلا من نوع معين"[1]، وبهذا يكون الخطاب ما بعد الكولونيالي هو رد ونتيجة حتمية للخطاب الكولونيالي

لقد سعت الدراسات الما بعد كولونيالية الى الكشف عن الهوية الحقيقية للاستعمار التي كانت مخفية خلف حجة نشر الحضارة وتثقيف شعوب العالم الثالث التي هي شعوب غير واعية بمصلحتها وغير قادرة على انتاج ثقافة تخرجهم من الظلمات التي يعيشون فيها، فتواجد الاستعمار في الدولة المستعمرة كان في ظاهره لغاية نشر المدنية والثقافة والحضارة والعلم لكن في باطنه فهو لهدف السيطرة على الشعوب المتخلفة ونشر ثقافته، وهذا في نظر فانون ما دفع بالاستعمار الى تبني موقف الام اتجاه الدول الضعيفة كونها غير واعية بمصيرها وغير قادرة على حفظ بقائها فهي شبيهة بالطفل الذي لا يعرف مصلحته مما يفرض على الأم الاهتمام به وفي هذا يقول فانون:" ان هذه الام المستعمرة تحمي الطفل من نفسه، من ذاته، من تكوينه

[1] بن الدين خولة، الخطاب الاستعماري والنظرية ما بعد الاستعمارية فرانز فانون انموذجا، ص ص 275–276.

الفيزيولوجي، من تكوينه البيولوجي، من شقائه الوجودي"[1]، ولقد حاولت الدول الاستعمارية ان تجعل هذه الفكرة حقيقة خالصة لا يشوبها الشك لتتمكن من حفظ بقائها داخل مستعمراتها.

ثانيا: الثقافة ومشروعية الاستعمار عند فرانز فانون:

ان فرانز فانون في حديثه عن الثقافة يستحضر دوما مشكلة الاستعمار، مما يجعل موقفه من الثقافة مرتبط بموقفه من الاستعمار وهذا ما نلمسه في كتابه معذبو الأرض حيث " يحلل فانون طبيعة الاستعمار الكولونيالي، ويبين طابعه الذاتي والمصلحي، معتبرا ان الاستعمار مصدر للعنف والإرهاب، مما يولد مقاومة مضادة من قبل الشعوب المستضعفة او البلدان المستعمرة"[2]، وتعد الثقافة احدى أساليب المقاومة الاستعمارية، فاذا كانت المقاومة عبارة عن أسلوب للرفض فان الثقافة تعبر عن هوية هذه الشعوب وعن رغبتها في التمسك بارضها واساسيات وجودها الحضاري.

ان الاستعمار الأوروبي برر وجودها في الدول الضعيفة وفي دول اعالم الثالث من خلال تلك الأسطورة القائلة بانه قادم من اجل نشر التقدم والتحضر وان هذه الدولة غير قادرة على تحقيق النمو والخروج من حياة الحيوانية التي تعيشها، غير ان هذا في نظر فرانز فانون امر لا يمد للواقع بأية صلة لان الاستعمار بما يحمله من عنف وإرهاب ضد الإنسانية بل انه قامع للإنسانية ومضطهد لها لان " الخطاب الكولونيالي، خطاب كما رأى فانون يميزه ظرف مانوي يفهم الأشياء داخل مسميات الخير والشر او الندية، يفكر داخل الأسود والأبيض، انه ظرف لن يتيح ابدا إمكانية الاندماج بين طرفين متضادين"[1]، أي انه نظام يكرس التمييز بمختلف انواعه وعلى كافة المستويات فاذا كان يدعي الخير فانه يبحث عن الخير لنفسه

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، ص 171.

[2] بن الدين خولة، الخطاب الاستعماري والنظرية ما بعد الاستعمارية فرانز فانون انموذجا، ص 279.

داخل هذه المجتمعات ولا يهمه ما يتعرضون له من قمع وعنف فهو خير مع ذاته وشرير مع غيره، يضع مصلحته في المقدمة ويعمل على تحقيقها بكافة الوسائل حتى وان كانت غير إنسانية.

يرى فرانز فانون ان الاستعمار سعى الى تشويه ثقافات الشعوب الأخرى ووصفها بالدونية بل انه لم يعترف بها كثقافة من الأساس، واعتبر نفسه ناشرا للثقافة في بلدان العالم الثالث، كما سعى الى زرع الشك في نفوس شعوب العالم الثالث وزعزعة نظرتهم الى ثقافتهم لان " الاحكام التي أطلقها الاستعمار على تراث الثقافات والشعوب المستعمرة كانت سلبية وأثارت الشك في تلك المجتمعات جعلهم ينبهرون بالثقافة الأوروبية في اول امرهم وسرعان ما ذهب هذا الانبهار وعملوا على فهمها وفهم منطقها الفكري"[1]، الرامي الى طمس الهوية الثقافية الخاصة بهذه الشعوب.

لقد سعى فانون من خلال اهتمامه بالثقافة الى فضح السياسة الاستعمارية التي لا غاية لها الا مصالحها الخاصة لذا "يقوم مشروع فرانز فانون على تعرية الفكر الاستعماري، ونزعته العنصرية القائمة على التمييز العرقي... ومن ثم بيان الاضرار النفسية للممارسة العرقية على الانسان المستعمر والمضطهد والمستعمر على حد سواء"[2]، مع تبيين أيضا تأثيراتها على ثقافة الفرد المستعمر ذلك لان الاستعمار لم يكتفي بالسيطرة الجغرافية بل سعى أيضا الى السيطرة على ثقافات الشعوب المستعمرة ومحوها لأنه على يقين بان بقاء الثقافات من شأنه ان يؤثر على تواجده في هذه الأراضي، لان" الثقافة معرفة تمكن صاحب السيادة او السلطة من ممارسة سيادته او سلطته على نحو فعال، فقد استخدم الاستعماريون معرفتهم بالثقافات المستعمرة لاحتكار تلك الثقافات واخضاعها لسيطرتهم"[3].

---

[1] سليم حيولة، ادب ما بعد الاستعمار، الهجنة كشكل من اشكال المقاومة الثقافية، مقال ضمن كتاب جماعي، ثقافة المقاومة، ص 410.

[2] بن الدين خولة، الخطاب الاستعماري والنظرية ما بعد الاستعمارية فرانز فانون انموذجا، ص 285.

[3] سليم حيولة، ادب ما بعد الاستعمار، الهجنة كشكل من اشكال المقاومة الثقافية، ص411.

اتفق فانون مع غيره من المهتمين بالدراسات ما بعد الكولونيالية في نظرتهم للاستعمار، لأنه اعتبر أيضا الاستعمار عمل لا انساني لأنه يمس بإنسانية انسان العالم الثالث بصفة عامة وهذا بسبب كل التجاوزات التي يقوم بها المستعمر كما "ان الدولة الكولونيالية تخفي إنسانية الانسان المقهور والمستعمر وتلجأ الى شتى الوسائل لإهانته واستعباده وبالتالي فلا يمكن القضاء على هذه الدولة الا عن طريق العنف"[1]، ليكون العنف هو السمة الغالبة على الاستعمار، والعنف الاستعماري لا يكون عنف جسدي فقط بل عنفا معنويا وهذا الأخير هو اخطر أنواع العنف في نظر فانون لأنه يصيب المستعمر بحالة نفسية رهيبة تجعله يعيش حالة اغتراب وأيضا حالة من احتقار الذات بسبب الشعور بالنقص امام المستعمر، وفي هذا يقول دو بويز:" كيف كنت ستجد نفسك وقد تحولت الى رعية استعمارية؟ كيف يكون شعورك وقد تم تخفيض قيمة ثقافتك وانتحالها، ولغتك قد حط من قدرها وحولت الى لغة عامية، مجردا من كل اشكال القدرة المتاحة والمشرعة فقط بلسان أجنبي؟ كيف كان حالك وانت رعية استعمارية؟ كيف تشعر اليوم بأنك رعية ما بعد استعمارية".[2]

عُرف فانون برفضه للاستعمار ودعمه لحركات التحرر عبر العالم وخاصة في دول العالم الثالث، كما اشتهر أيضا بدفاعه عن ثقافاتهم لان هذه الاخيرة ليست اقل قيمة من ثقافة المستعمر، وهذا ما يجب على الشعوب المستعمرة ان تدركه لذا يقول فانون" الزنجي الذي لم ينقطع يوما عن ان يكون زنجيا منذ تسلط عليه الأبيض، لا بد ان يدرك حين يقرر ان يبرهن على ثقافة وحين يقرر ان يصنع ثقافة، لا بد ان التاريخ يفرض

[1] بن الدين خولة، الخطاب الاستعماري والنظرية ما بعد الاستعمارية فرانز فانون انموذجا، ص 280.

[2] روبرت يونغ، ما بعد الكولونيالية، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، 2018، ص 430.

عليه افقا معينا، ويدله على طريق معينة، وان عليه ان يظهر ثقافة زنجية"[1]، لأنها هي الوحيدة التي تحمل في طياتها مقوماته وانتماءه وهويته التي لا يمكن التملص منها.

ان الصراع الحاصل بين الاستعمار والمستعمر قاد الشعوب المستعمرة الى التمسك بثقافتها بل تحول هذا التمسك الى مصدر للمقاومة، لان " امام الهيمنة الثقافية الاستعمارية وامام اشكال الهيمنة التي تعرضت له المجتمعات الافريقية والاسيوية برزت المقاومة الثقافية كاستراتيجية تهدف لإبراز الخصوصية الثقافية للمقاومة واثبات الذات وتحقيق الهوية"[2]. ليتحول بذلك الاستعمار الى باعث لثقافة المقاومة وسببا في احيائها.

تعد القضية الجزائرية أفضل مثال يمكن استحضاره عند الحديث عن علاقة الثقافة بالاستعمار عند فرانز فانون " فالذي لا شك فيه هو ان الجميع يتفقون على ان اسم فانون وفكره اقترن بكفاح الشعوب المضطهدة وبصراع العالم الثالث عبر الثورة الجزائرية"[3]، ذلك لأنه عايش وعاش الثورة الجزائرية، وحاول الدفاع عن قضية الشعب الجزائري في المحافل الدولية، نتيجة ما تعرض له الجزائريين من ظلم واضطهاد بفعل الاستعمار الفرنسي.

فرأى ان هذا الشعب صاحب تاريخ عريق ويملك ثقافة عريقة وله الحق في تقرير مصيره واسترجاع سيادته بشتى الوسائل بما في ذلك العنف، والاستعمار عمل محو معالمه الثقافية من لغة ودين وعادات وتقاليد واستبدلها بثقافته ايمان منه بان الشعب الجزائري لا ثقافة له، لذا دع فانون الشعب الجزائري التي التمسك بثقافته لأنه ستكون المحرك الأساسي للثورة الجزائرية، فكلما كان الفرد الجزائري على وعي بثقافته كان التفافه اقوى حول الثورة من اجل طرد الاستعمار. يقول فانون: " ان اتهام الاستعمار للزنج بانه لا

---

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، ص 232.

[2] سليم حيولة، ادب ما بعد الاستعمار، الهجنة كشكل من اشكال المقاومة الثقافية، ص 425.

[3] محمد الميلي، فرانز فانون الثورة الجزائرية، ص 31.

ثقافة لهم وللعرب بان همجيتهم وراثية، قد أدى منطقيا الى اثارة ظاهرات ثقافية ليست قومية فقط، انما على صعيد القارة، كما أدى الى اسباغ طابع عرقي على هذه الظاهرات الثقافية"[1]، وذلك كان بمثابة رد فعلمن طرف لشعوب المستعمرة كدليل على رفضها للاستعمار، محاولة من خلال ذلك اثبات وجودها وثقافتها وانها لا تقل قيمة عن الشعب الغربي.

ان فانون من خلال تضامنه مع القضية الجزائرية كشف على جز مهم من التواجد الاستعماري في الجزائري، فقد اثبت ان الاستعمار لا يعكس صورة المستوطنين الاجانب بل ان هؤلاء من خلال تواجدهم كمعمرين في الأراضي الافريقية كانوا من بين المتأثرين والداعمين لحرية الشعوب، كما ان هؤلاء تأثروا بثقافة الشعوب المستعمرة لذا يقول فانون" هناك اسطورة اخرى يجب هدمها الا وهي اسطورة المستوطنين في الجزائر الذين يقدمون في صورة واحدة، كأنهم كلهم معارضون لنهاية السيطرة الاستعمارية"[2]، فالكثير منهم عملوا كمساندين للمقاومة الجزائرية وتضامنوا معها من منطلق انساني

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، ص 237.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار الفارابي، بيروت، ط 1، 2004، ص 170.

نتائج الفصل:

مما تقدم نستنتج ما يلي:

-ان الثقافة من بين المفاهيم التي شهدت على تطورا عبر التاريخ من حيث الدلالة والمفهوم، كما انها من بين المفاهيم التي اختلف الفلاسفة والمفكرين والانثروبولوجيين في تحديد تعريف دقيق لها، وهذا الاختلاف يعود الى اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والعلمية.

-رغم اختلاف الفلاسفة في تحديد مفهوم الثقافة الا ان هذا المفهوم يجمع بين جملة من لإنتاجات البشرية التي يمكن حصرها في الدين واللغة والتاريخ وكذلك العادات والتقاليد، فكل هذه العناصر تشكل لنا الثقافة، كما انها تعكس تحضر الشعوب وتقدمها.

-ان الثقافة وخلال مسار تطورها عرفت انتقال بين الوطنية والقومية والكونية، وفرانز فانون اعطى قيمة واهمية كبيرة للثقافة الكونية واعتبرها النافذة الاولى لتشكيل الثقافة القومية، لان العناصر التي تتألف منها الوطنية هي التي ستقود الى إيجاد قومية واحدة ومشتركة.

- ان الثقافة القومية هي رمز الوحدة بين مجموعات من الدول التي لها تاريخ ولغة ودين مشترك، وعلى أساس هذه المقومات الثلاثة يمكن لشعب هذه القومية ان يحدد هويته وانتمائه ومن ثم توظيفها كأداة لمقاومة الاستعمار، لأنه إذا كان الاستعمار يسعى الى تفكيك الشعوب فان الثقافة القومية هي السبيل الى توحيدهم.

- لقد سعى الاستعمار الى القضاء على هوية الشعوب المستعمرة ذلك لأنه ادرك ان قوة هذه الشعوب تكمن في ثقافتها، وبالتالي فانه ينبغي تفكيك وحدتها، تحت ادعا ان هذه الثقافة لا ترقى الى مستوى الثقافة الفعلية، والثقافة الحقة هي التي جلبها المستعمر من أوروبا وذلك من اجل كسب مشروعية الاستعمار.

المبحث الأول: مفهوم الهوية عند فرانز فانون

أولا: مفهوم الهوية لغة

ثانيا: مفهوم الهوية عند الفلاسفة

ثالثا: مفهوم الهوية عند فرانز فانون

المبحث الثالث: موقف فرانز فانون من الهوية النقية

أولا: مفهوم الهوية النقية

ثانيا: موقف فرانز فانون من الهوية النقية

المبحث الثالث: الهوية الهجينة عند فرانز فانون

أولا: مفهوم الهجنة في الدراسات ما بعد الكولونيالية

ثانيا هجنة الهوية عند فرانز فانون

تمهيد:

كانت الهوية عبر التاريخ مطلب أساسي للشعوب، وتحولت مع مرور الوقت الى شيء مقدس لا ينبغي المساس به، وتمسك الشعوب بهويتهم ودفاعهم عنها يعد خير دليل على ذلك، خاصة في دول العالم الثالث التي تعرضت للاستعمار اين حاول هذا الاستعمار محو هويتها وتشويهها من اجل سلخ الشعوب عن ماضيها الذي شكل مصدرا لهويتها، وهذا ما تولد عنه رد فعل متوقع من هذه الشعوب التي تمسكت بمقومات هويتها فشكلت بذلك الهوية موضوعا حيويا لدى مفكري العالم الثالث وخاصة أصحاب الدراسات ما بعد الكولونيالية وعلى راسهم فرانز فانون الذي اعتبر الهوية الملجأ الوحيد للشعوب التي عاشت حالة من الاغتراب بفضل الاستعمار، فاذا كانت الهوية تبرز انتماءات الافراد وتتحدد من خلالهم هوياتهم فما المقصود بالهوية عند فرانز فانون؟ وهل تمسك الشعوب بهوياتهم يعزز فكرة الهوية النقية ويلغي الهجنة التي شهدتها عبر التاريخ؟

المبحث الأول: مفهوم الهوية عند فرانز فانون

أولا: مفهوم الهوية لغة:

يعرفها الجرجاني بانها: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق، اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق[1].

وجاء في كليات ابي البقاء ان الهوية هي: " الامر المتعقل من حيث انه معقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه على الاغيار يسم هوية، ومن حيث حمل اللوازم عليه يسمى ذاتا"[2].

اما لالاند فقد انها:" ميزة فرد او كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بفرد يقال عنه انه متماه بالمعنى ب، او انه هو ذاته في مختلف فترات وجوده"[3].

يعرف جميل صليبا الهوية بقوله " الهوية في الفرنسية Identité في الإنكليزية Identity، في اللاتينية Identitas ...اشتق هذا من حرف الرباط، أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره "[4]

---

[1] الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ص 216.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجز 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 530.

[3] اندري لالاند، موسوعة لالاند، ص 607.

[4] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنكليزية و اللاتينية، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، 1982، ص 530.

ثانيا: مفهوم الهوية عند الفلاسفة:

ان الهوية كمفهوم فلسفي يضرب بجذوره في تاريخ الحضارة اليونانية، التي تعد مهد لكل بحث فلسفي، وتعد الهوية من بين هذه البحوث، حيث سعى فلاسفة اليونان الى إيجاد مفهوم دقيق للهوية، وهذا ما نلمسه عند ارسطو(384- 322ق.م) الذي اخذ معه مفهوم الهوية بعدا فلسفيا منطقيا من خلال وضعه لمبادئ العقل التي على راسها مبدا الهوية "وهو المبدأ الذي يثبت ان شيئا ما مساو لذاته مساواة تامة وكلية، لا يمكن ان يكون هو وغيره في الوقت ذاته، بمقتضاه تكون هوية الشي، جوهره المتعين او طبيعته التي تخصه أي ما يحده حدا يفصله عما عداه من الموجودات"[1]، فالهوية بهذا تكون حاملة لمعنى التفرد والتميز.

كما ان الهوية عند ارسطو تحمل معنى المطابقة التي تفرض وجود تماهي بين شيئين او أكثر وهو ما يطلق عليه فيما بعد بالهوية المتعددة التي يكون فيها الجوهر ثابت واعراضه متغيرة لان" الجوهر هو هو وان تغيرت اعراضه، والانا هو هو وان تغيرت احواله، تنعدم الصورة وتبقى الهيولى كمقوم تحل فيها صورة أخرى"[2]، وهو ما يدل على ان الهوية ليست شيئا قابل للتغير والكون والفساد لان هذا الامر لا يحدث الا على العوارض التي تكون قابلة لذلك اما الجوهر فهو واحد في ذاته رغم العوارض التي تطرأ عليه.

ان اهتمام ارسطو بالهوية انتقل فيما بعد الى الفلاسفة المشائين وعلى رأسهم الفيلسوف الإسلامي ابن رشد الذي عرف بإسم الشارح الأعظم لأعمال ارسطو، ولعل ترجمته لكت ارسطو جعلته يتأثر به في الكثير من المسائل التي تعتبر الهوية احداها لان ابن رشد لم يخرج عن تعريف الارسطي المنطقي للهوية وهو ما نلمسه في تعريف ابن رشد للهوية حيث يقول: "اسم الهوية ليس هو شكل اسم عربي في أصله وانما اضطر

[1] – جليلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة، في الانثروبولوجيا وفي علم الاجتماع، مركز النشر الجامعي، منوبة، 2010، ص 16.

[2] جليلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة، في الانثروبولوجيا وفي علم الاجتماع، ص 18.

اليه بعض المترجمين فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره وهو حرف "هو" في قولهم زيد هو حيوان او انسان، وذلك ان قول القائل ان الانسان هو حيوان يدل عليه قولنا الانسان جوهره او ذاته انه حيوان"[1].

اما الفارابي(870-950م) فهو الاخر لم يأتي بتعريف جديد ومغاير للتعريف الذي قدمه ابن رشد بدليل انه يُعرف الهوية بقوله انها" هوية الشي وعينيته ووحدته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له، كل واحد وقولنا انه هو، إشارة الى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك"[2]، وهذا مفاده ان الهوية ليست قاسم مشترك بين المجموع بل هي تعبير عن استقلال ذاتي للذات عن الذوات الأخرى.

ولعل هذا ما جعل الفارابي يميز بين الماهية والهوية فالأولى خاصة بمقومات الشيء والثانية خاصة بوجوده أي ان الهوية من الموجودات التي تعد في نظره عوارض لازمة على عكس الماهية التي لا يمكن ان يستقيم الموجود دونها حيث يقول في هذا الصدد" ليست ماهيته هويته ولا داخلة في هويته، ولو كانت ماهية الانسان هويته، لكان تصورك ماهية الانسان تصورا لهويته... وكان قياس الهوية من الانسان قياس الجسمية والحيوانية".

يعود الفضل الى ابن سينا(980-1037م) في نقله مفهوم الهوية من الانطولوجيا نحو مفهوم الذات والانية أي "الانتقال من براديغم الوجود الى براديغم الوعي الذي يجعل من الذات مبدا انطولوجيا ومعرفيا يستمد مرجعه من ذاته ويمتلك قوة حضوره بنفسه"[3]، وهذا ما فاده انه لم يعد ينظر الى الهوية على انها جوهر خالص بل ككيان له تتحقق على الواقع، وفي هذا يقول ابن سينا " فهذه الذات الانا او الذات الواحدة

[1] المرجع نفسه، ص 36.

[2] المرجع نفسه، ص 40.

[3] جليلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة، في الانثروبولوجيا وفي علم الاجتماع، ص 50.

المستمرة بعينها، متميزة تماما عن الجسم، وانها ايسر منه واقرب معرفة اذ انها تعرف ذاتها بذاتها بغير واسطة الحواس، غير محتاجة الى الغيرية او الى وجود العالم الخارجي"[1]، وبهذا نخلص الى ان ابن سينا يستعمل الهوية بمفهوم الذات القادرة على وعي ذاتها بذاتها.

اما المتصوفة فقد بحثوا هم أيضا في مفهوم الهوية وانتهوا الى ربط مفهوم الهوية بالذات الإلهية فابن عربي على سبيل المثال يُعرف الهوية بانها " الهوية عما من دون الأشياء وان الحق لا يعرف من دون الخلق"[2]، لان المتصوفة لا تفصل ذات الانسان عن الذات الإلهية، والانسان في نظرهم غير قادر على معرفة ذاته الا من خلال معرفته لله، لان هوية الانسان من هوية الله ولعل هذا ما يفسر عن طريقه المتصوفة نظريتهم في الاتحاد والحلول. وهذا يقودنا الى القول ان الهوية عند المتصوفة هي جوهر ميتافيزيقي لاهوتي لا يمكن بلوغه الا عن طريق المعرفة الاشراقية.

اما الفلاسفة في العصر الحديث من ديكارت الى كانط(1724-1804م) فقد عملوا على نقل مفهوم الهوية من الانطولوجيا الى نظرية المعرفة فأصبحت الهوية تحمل معنى الذات حيث جعل ديكارت(1596-1650م) مفهوم الهوية مستنبطا من الوجود وهذا ما نلمسه في مقولته الشهيرة الكوجيطو" انا افكر اذن انا موجود" وهذا أيضا في :" انا موجود بلا ريب لأنني اقتنعت او لأنني فكرت بشيء ولكن لا ادري قد يكون هناك مضل شديد القوة، والمكر،... اذن ليس من شك في اني موجود"[3]، فالإنسان انطلاقا من وعيه يمكن فقط ان يدرك وجوده ويحقق ماهيته التي هي في الأساس متحقق بالفكر، لان الماهية عند ديكارت تسبق الوجود، وماهية الانسان هي التفكير، على عكس المدرسة الوجودية بزعامة

[1] المرجع نفسه، ص 49

[2] المرجع نفسه، 54.

[3] فائزة شرماط، الفكر الأخلاقي عند بول ريكور، ألفا للوثائق، قسنطينة، ط 1، 2015، ص 29.

سارتر التي اعتبر الوجود سابقا عن الماهية أي ان الانسان يوجد أولا ثم يسعى الى تحقيق ماهيته من خلال ما ينجزه في الحياة.

اما مع الفلسفة المعاصرة فقد تم اخراج الهوية من الطرح الابستمولوجي واعادتها الى الأنطولوجيا البشرية ولم يعد الحديث عن الهوية من منطلق ذاتي فردي فقط، بل أصبحت تطرح على نطاق جماعي وتبحث في انتماء الفرد الى جماعة معينة وهذا ما نلمسه في تعريف ريكور(1913-2005م) للهوية حيث يقول "ان الهوية هي ما يمكن ان يعرف به الفرد في علاقته بالجماعة التي ينتمي اليها ولها تعبيراتها القيمية والرمزية والعرفية وتتحقق بالتأليف السردي الشامل لكل الخطابات"[1]، ومن خلال هذا فالهوية اليوم باتت تطرح كرأسمال رمزي يعي من خلاله الفرد انتمائه الى جماعة معينة.

كما أصبحت الهوية موضوعا رئيسا في الدراسات الما بعد كولونيالية، التي تدور جل دراساتها حول هوية الانسان في العالم الثالث او في الدول المستعمرة التي تحررت من الاستعمار، حيث نجد ان هذا الأخير هو المسبب الرئيس لازمة الهوية، فاذا كانت هوية الشعوب في حالة إنعاش فان ما على الدراسات ما بعد الكولونيالية الا رد هذه الهوية الى الحياة، ويعد المفكر الفلسطيني ادوارد سعيد من بين فلاسفة النقد ما بعد ثقافي الذي بحث في مسالة الهوية وانتهى الى القول "ان الهوية تكمن في تساؤلين هما: من نحن؟ ومن اين جئنا؟ والاجابة عنهما صعبة المنال"[2]، قاصدا بذلك ان الهوية ما هي الا انتماء والبحث فيها هو بحث في أصول الانسان، لان الذي يعيش بهوية مجهولة يحكم عليه بالمنفى مدى حياته.

---

[1] – بكري خليل، مفهوم الهوية واسئلة التماثل والاختلاف، الهوية والاختلاف، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد 26، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط 1، 2016، ص451.

[2] – شيلي واليا، صدام ما بعد الحداثة ادوارد سعيد وتدوين التاريخ، ترجمة: عفاف عبد المعطى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2006، ص 37.

كما سعت غاياتري سبيفاك الى البحث في ماهية الهوية، وهذا ما نلحظه من خلال الدراسة التي قدمتها حول التابع الموسومة بعنوان " هل يستطيع التابع ان يتكلم؟" الذي يعيش حالة من التشتت والاغتراب الهوياتي بسبب وجود قوى مركزية سلبته هويته ومنعته من الكلام واثبات وجوده لتكون بذلك الهوية هي الحق في الكلام

المبحث الثاني: موقف فرانز فانون من الهوية النقية

أولا: مفهوم الهوية النقية:

لقد شاع عبر التاريخ فكرة وجود هويات نقية، مبنية على نقاء العرق والجنس، وهذا ما يمثل أصل كل الهويات، فإن كان الأصل نقي فان الهوية يكون محكوم عليها بالنقاء، والعكس صحيح، ولعل فكرة النقاء الهووي التي انتشرت وسادت عبر التاريخ والتي نجدها حاضرة تقريبا عند كل الشعوب بدءا من اليونان الذين عمدوا الى اقامة التمييز بين افراد المجتمع الاثيني على أساس الانتساب العرقي فكان الذي من اب وام اثينيين يوناني له الحق في التمتع بكل الحقوق التي من بينها الحقوق السياسية وهذا ما نلمسه عند افلاطون.

وكذلك الصينيين الذين اعتبروا انفسهم أرقى وانقى شعوب العالم وبالتالي لا ينبغي لهم ان يختلطوا بغيرهم من الشعوب حفاظا على هويتهم ولهذا السبب قاموا ببناء صور الصين العظيم وزاد الاهتمام أكثر بالهوية النقية بعد اعتماد الدين كمصدر رئيس للهويات تبلورت بشكل كبير في الفكر الألماني الذي كرس هذه المسالة واراد الاستعانة بها في تغيير تاريخ العالم، وابادة الاجناس الأخرى، من اجل ضمان خلود الجنس الاري، ان المغزى من هذا النقاء هو بلوغ الأفضلية والتمركز حول الذات يكسبها نرجسية قوية قادرة على قمع كل الهويات الهجينة.

لا يمكن تحديد ماهية الهوية النقية الا من خلال استحضار نظرية الاجناس التي لعبت دورا كبيرا في التأسيس لهذه الفكرة، فهذه النظرية عملت على إقامة تمييز بين الاجناس، وحددت أفضلها ومن ثم فان

هذه الاجناس المتميزة هي الأجناس الوحيدة القادرة على بناء الحضارة وتكوين امة لها هوية، دون اللجوء الى غيرها من الاجناس، فان كان الفرد يملك هوية نقية فهذا يعود الى نقاء جنسه وان هذا الأخير كفيل بدفعه نحو التقدم، ليكون بذلك التقدم هو السمة الغالبة على هذا الجنس خاصة الجنس الاري او الجنس الأبيض الذي اعتبره المؤرخون انه مصدر الحضارة منتج العلم والثقافة[1].

ان الالتفاف حول الجنس لم يكن مع العصر الحديث فحسب بل يضرب بجذوره في الحضارة اليونانية، اين كان للفلاسفة دور كبير في تفعيل قيمة الجنس، لأنهم نظروا الى الجنس اليوناني على انه أفضل الاجناس التي تمكنت في ذلك الوقت من انتاج فلسفة وعلى أساس العرق تم تحديد الانتماء الهووي والثقافي فعلى سبيل المثال نجد ان اليوناني عند افلاطون هو من كان من ام واب اثينيين وماعدا ذلك فلا يمكن ان يتمتع بالهوية اليونانية ولا يرقى الى مستوى الفرد اليوناني، ليكون بذلك اليوناني هو نخبة المجتمع والمنتمي الى طبقة النبلاء فقط اما غيره فما هم الا عبيدا لا يحق لهم التمتع بنفس حقوق النبلاء[2].

كما سعت الحضارة الغربية في العصر الحديث الى التأصيل للهوية النقية، وذلك من اجل إلغاء الشعوب الأخرى من دائرة التاريخ، فالغرب وحده القادر على صناعة التاريخ وكتابته، وهذا ما نلمسه في اعمال المستشرقين وكذلك في دعاة القومية الغربية، التي رات ان الغرب هو ارقى الشعوب وبالتالي فهو القادر الوحيد على حمل شعلة الحضارة ومن ثمة فان له الحق في قيادة شعوب العالم الثالث نحو التحضر، وهذا ما يفرض عليها تبني هوية الغرب وثقافتها، ولعل الاستعمار الأوروبي لدول العالم الثالث كان خير دليل على ذلك لأنه سعى الى نشر ثقافة الغرب وهويته على نطاق واسع وغربنة شعوب العالم الثالث.

[1] مصطفى النشار: فلسفة التاريخ نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توينبي، ص245.

[2] جورج طرابيشي، من النهضة إلى الردة تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت، ط 1، 2000، ص.95

كما نلمس الهوية النقية عند اليهود الذين اعتبروا نفسهم شعب الله المختار، وبالتالي لا يجب لهم الاختلاط بالأجناس الأخرى، فنسبهم مطهر وعريق، ليكون بهذا مصدر النقاء هو الدين، ولقد ظل اليهود مع مرور التاريخ محافظين على تفردهم وتميزهم ومتمسكين بعاداتهم وتقاليدهم ولعل هذا كان له دور كبير في حفظ وحدتهم التي شكلت قومية واحدة متجانسة ترفض الاختلاط، ويعتبر تواجدهم في فلسطين وتأسيسهم لدولتهم خير مثال على تمسكهم بهويتهم التي لم تضيع رغم التشتت والهجرة والمنفى[1].

ان القول بالهوية النقية لقي اعتراض كبير من طرف الباحثين الانثروبولوجيين وكذلك أصحاب الدراسات الما بعد كولونيالية فعلى سبيل المثال نجد توينبي خلال دراسته لتاريخ الحضارات توصل الى انه لا توجد ثقافة نقية ولا حضارة نقية وان الحضارات لم تبنى بمعزل عن غيرها من الحضارات الأخرى بل كل حضارة تأثرت بغيرها من الحضارات، كما فند أيضا توينبي نظرية الاجناس التي اعتبرها غيره دليلا على النقاء الهووي، فالجنس الأبيض لم يكن هو المنتج الوحيد للحضارة بل حتى الاجناس الأخرى كان لها نصيب من ذلك[2].

اما في دراسات ما بعد الكولونيالية فإننا نذكر على سبيل المثال لا الحصر هومي بابا الذي كان له هو الاخر موقفا معارضا للهوية النقية حيث "رفض هومي بابا، وغيره من نقاد الدراسات ما بعد الكولونيالية، الفكرة القائلة بنقاء الثقافة او نقاء الهوية الثقافية، لان الثقافة اليوم لا تقع في لب نقي بل تترامى على

[1] مهند عبد الحميد، إختراع شعب وتفكيك آخر عوامل القوة والمقاومة–والضعف والخضوع، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، غزة، ط 1، 2015، ص 36.

[2] إسماعيل محمد الزيود: ارهاصات النهضة في المجتمع العربي: دراسة سوسيولوجية في ضوء نظرية التحدي والاستجابة، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40، العدد 1، 2013، ص 5.

حواف الثقافات الأخرى"[1]، لان كل ثقافة اخذت من غيرها من الثقافات وهذا ما جعلها تفقد نقائها وهو الامر عينه الذي اكد عليه الشاعر ايمي سيزار وكذلك ادوارد سعيد فجميعهم اعتبروا مسالة نقاء الهوية لا أساس لها في التاريخ وانما هي من صنع البشر الذين أرادوا ان يصنعوا لأنفسهم هوية متفردة متميزة يستثمرونها في بسط هيمنتهم وسيطرتهم على شعوب العالم.

ثانيا: موقف فرانز فانون من الهوية النقية:

سعى فرانز فانون كغيره من أصحاب الدراسات الما بعد كولونيالية الى دحض مسالة الهوية النقية التي لا أساس لها عبر التاريخ، لان هذه الأخيرة ما هي الا نتاج لرغبة الغرب في السيطرة على العالم، فالهوية النقية هي الأداة الوحيدة التي يمكن من خلالها للغرب الضغط على شعوب العالم، عن طريق اشعارها بالدونية، وزرع الشعور بالنقص في نفوس هذه الشعوب ، وبالعودة الى اعمال فرانز فانون خاصة كتابه معذبو الأرض وكتاب بشرة سودا اقنعة بيضا نجد ان الاستعمار الغربي قد نجحا فعلا في زرع الشعور بالنقص في نفوس الزنوج مما جعلهم يشعرون بالدونية امام المستعمر لان" الزنجي بصرف النظر عن مستواه العلمي والثقافي هو في نظر الفرنسي زنجي قبل أي شيء اخر ومن ثم فهو ذو مرتبة متدنية"[2] ومن ثم منحه المشروعية بحكم الأفضلية في التحكم فيه والسيطرة عليه.

يحلل فانون الهوية النقية في اطار علاقتها بالاستعمار ويعود دوما الى الزنجي ليبين ذلك الفراغ النفسي الذي احدثه الاستعمار في نفس الزنجي ، لان فانون يركز بشكل كبير ويولي عناية فائقة للجانب النفسي لان الهوية النقية لها تأثيرا كبيرا على نفسية الزنجي او الفرد في العالم الثالث، من اجل لفت الانتباه الى ان

[1] – لونيس بن علي، ادوارد سعيد من نقد الخطاب الاستشراقي الى نقد الرواية الكولونيالية، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2018، ص68.

[2] دافيد كوت، فرانز فانون، ترجمة: عدنان الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1971، ص 9.

الاستعمار هو رسالة أوروبا من اجل تكريس التمييز العنصري واعطاؤه مكان في نفوس الشعوب الضعيفة، أي ان الهوية النقية هي انتاج غربي أوروبي بامتياز والاستعمار منحه المشروعية الكاملة والزنوج بما فيهم شعوب العالم الثالث كانت لهم القابلية لذلك وهذه المسالة تطرق اليها فانون في كتابه بشرة سودا اقنعة بيضا حيث حاول من خلال كتابه هذا فضحت السياسة الاستعمارية والكشف عن ابعادها الخفية موضحا ان الهوية النقية غير موجودة الا في ذهن الانسان الغربي الذي روج اليها من اجل قمع الشعوب الضعيفة والمتخلفة.

ان الهوية النقية عند فانون تأسست على التمييز العنصري بما في ذلك العرق ولون البشرة فعلى أساس هذا يتم تحديد هوية الاخر المختلف، كما ان تمسك الغرب بنقاء الهوية خلق لدى شعوب العالم الثالث انفصام على مستوى الهوية لان الذات في سياق الكولونيالية تعاني من تجاذب في الهوية وتبدد في الشخصية حيث تكون مشتتة بين هويتين هويتها الاصلية وهوية الاستعمار، فنجدها تحاول ان تتقمص هوية الاستعمار حتى تشعر بانها على قدر واحد من الإنسانية معه لأننا "امام هوية متجاذبة تتغذى من ديناميات اللاوعي حيث تتموضع الرغبة دائما كمرجع في مكان يسكنه الاخر: يروم المستعمر دائما الحلول في مكان المستعمر ويحلم بقلب الأدوار"[1] لكنها سرعان ما تشعر بالاغتراب والرغبة في العودة الى أصولها الأولى لان الذات لا تجد مكانها الى في أصولها الحقة اما التأثيرات الجانبية سرعان ما تزول.

لقد ارتبطت الهوية النقية بلون البشرة والعرق، ومن خلال لون البشرة تحدد هوية الانسان، والزنجي على أساس هذا يتم نبذه مهما كان مستواه العلمي والثقافي، ففانون بالرغم من انه حاول ان يتخلص من هذا التمييز على المستوى الداخلي النفسي والخارجي الاجتماعي الا انه لم يتمكن من ذلك وهذا ما نلمسه من

[1] – ماريا بين يديتا باستو، فانون هومي بابا تجاذب الهوية وجدل في فكر ما بعد كولونيالي، ترجمة: وحيد بن بوعزيز، مجلة مقاليد، العدد 6، جوان 2014، ص 2.

خلال قوله: " عندما اتحدث الى من يحبونني يقولون لي انهم يحبونني على الرغم من لوني وحينما اتحدث الى من يكرهونني يتعذرون بأنهم لا يكرهونني بسبب لوني. وفي كلتا الحالتين اجدني الحلقة اللعينة إياها"[1]، ومن هذا نكتشف ان لون البشرة هو الحدد الأول لهوية الفرد، فان كان لون بشرتك مختلف عن الاخرين فانهم سينظرون اليك نظرة دونية مما يولد في نفس الفرد الشعور بالنقص.

ان الجنس ولون البشرة ليس هما المحددان الاساسيان لهوية الافراد بل ان اللغة أيضا كانت عاملا أساسيا في بنا الهوية النقية، ويعتقد فانون ان هذا الامر هو الذي دفع بشعوب العالم الثالث الى تعلم لغة المستعمر اعتقادا منها انها اذا تكلمت بلغته ستصبح معه على كفة واحدة لان تعلم لغة المستعمر دليل على التحضر بل انها مقياس يقاس به تحضر الانسان وتخلفه وهذا ما حدث مع الزنوج الذين أرادوا تقليد المستعمر حيث" اصبحت ذروة طموح المواطن الأصلي هنا هي ان يكتسب اكبر قدر من الفرنسة سواء كان ذلك من حيث اللغة او التعليم او الثقافة او حتى الدين"[2]، وهذا يعبر عن رغبة الزنوج في الهروب من هويتهم نحو تبني هوية المستعمر بحكم الأفضلية التي يتمتع بها، فلكي يتخلص الزنوج من الشعور بالنقص تبنوا ثقافة المستعمر " يتعمد الفرنسيون تشريب المواطنين السود مفاهيم تجعل منهم رعايا سودا بأقنعة بيضاء سواء فعلوا ذلك بوعي او بغير وعي لما يفعلون. فالفرنسيون يوحون للسود بان يرضوا بالمهانة التي يفرضها عليهم لونهم الأسود"[3]

[1] – دافيد كوت، فرانز فانون، ص 9.

[2] – دافيد كوت، فرانز فانون، ص 11.

[3] المرجع نفسه.

مفهوم الهوية عند فرانز فانون:

ان اهتمام فرانز بالثقافة قد ارتبط بمفهوم الهوية، ذلك لأنه يربطهما بعضا ببعض، ويجعل من الأولى مصدرا للثانية، أي ان الثقافة بما تحمله من لغة ودين وتاريخ هي المكون الأساس والمصدر الوحيد للهوية، ومن خلال الثقافة فقط يمكن إيجاد مفهوم الهوية وتجسيده من خلال رفض الاستعمار والمطالبة بالتحرر من السيطرة الاستعمارية، لان الفرد عندما يدرك هويته ينهض ويثور في وجه كل من يريد ان يسلبه إياها، كما ان الهوية هي ذات الانسان الذي لا يمكن ان تستقيم حياته الا بها، وتخلي الانسان عن هويته يعني انه محكوم عليه بالاغتراب والتشرد مدى الحياة، لان الهوية هي النسب وهي الأصل والانتماء.

يرى فانون ان الهوية هي السمة الملازمة للإنسان، فلا يمكنه التجرد منها او التنازل عنها لأنه يعيش في نطاق الجماعة التي تتعامل معه من منطلق هووي، وهنا يميز فانون بين نوعين من الهوية: الهوية الداخلية التي تتمثل في الثقافة بما تحمله من دين وللغة والثانية تتمثل في الشكل الخارجي كالعرق ولون البشرة ويعتبر هذا النوع الأخير اكثر تأثيرا، لان هوية صاحبه تكون ظاهرة للجميع وفي هذا يقول فانون "ان اليهودي يصبح غير محبوب بدءا من وقت التعرف عليه، اما بالنسبة الي فليست لي أية فرصة في ان امر دون ان اعرف، انا محدد من الخارج، فانا لست عبدا للفكرة التي يحملها الاخرون عني، لكني عبد لصورة ظهوري"[1]، بهذا يمكن القول ان الشكل الخارجي له دور كبير في تحديد هوية الفرد وان الهوية تنكشف للعيان من خلال الصورة الخارجية للإنسان.

[1]– محمد الميلي، فرانز فانون الثورة الجزائرية، ص 62.

المبحث الثالث: هجنة الهوية عند فرانز فانون

أولا: مفهوم الهجنة في الدراسات ما بعد الكولونيالية

الهجنة من بين بين المفاهيم الطاغية على الدراسات ما بعد الكولونيالية، وهذا راجع الى الاهتمام الواسع بها، نظرا لأهميتها في الزمن الراهن خاصة بعدما زاد الاهتمام بالثقافة والهوية في فترة ما بعد الاستعمار، والعودة الى الهجنة كان نتيجة للاختلاط الذي باتت تتميز به العلاقات الإنسانية التي لم تعد تهتم للفروقات الاثنية والعرقية بل ان التواصل القائم بين البشر ألغى هذه الفروقات وأصبحت الهجنة سمة تمتاز بها العلاقات الإنسانية.

ان البحث في ماهية الهجنة ودلالتها يجعلنا نقف عند مجالات استعمال هذا المصطلح الذي لم يقتصر على مجال الهوية الثقافة ويعود باستعمالاته الى مجال الزراعة حيث كان "يستخدم في فن البستنة borticulture فالمصطلح يشير الى تناسل متبادل لجنسين مختلفين، بالتطعيم او التأبير المتبادل لتكوين ثالث جنس مهجن"[1]، ثم انتقل هذا لمصطلح الى مجال اللغويات على يد اللغوي والمنظر الثقافي ميخائيل باختين، الذي كشف عن التداخل الذي يحدث داخل اللغة والذي يؤدي الى خلق معاني متعددة كما "توجد فكرة تعددية الأصوات في المجتمع متضمنة أيضا في فكرة باختين بخصوص الكرنفالي والتي ظهرت في العصور الوسطى عندما عارض عالم لا نهائي من الاشكال والتجليات الهزلية النبرة الرسمية والجادة للثقافة الكنسية القروسطية والاقطاعية"[2].

---

[1] – بيل اشكروفت واخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ترجمة: احمد الروبي واخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2010، ص 199.

[2] المرجع نفسه، ص 199.

اما ظهور الهجنة في دراسات النقد الثقافي يعود الى هومي بابا الذي ستخدم هذا المصطلح في اعماله النقدية الثقافية عند تحليله لعلاقات المستعمر بالمستعمر حيث اعتبر " ان كل البيانات والأنظمة الثقافية تصاغ في فضا يسميه الفضاء الثالث للتعبير"[1] وهذا الفضاء الثالث يكون نتيجة الهجنة الناتجة عن التقاء ثقافتين مختلفتين افرزا ثقافة هجينة مختلط، لان بين الاستعمار والشعوب المستعمرة تأثير متبادر فكل منهما تأثر بثقافة الاخر بشكل مباشر وغير مباشر.

ان الهجنة كمفهوم فلسفي لم يظهر الا في الدراسات الفلسفية المعاصرة، غير ان المتتبع للتاريخ البشري يجد ان هذا المفهوم كان حاضرا على مر التاريخ كممارسة، اخذت اشكال متعددة يمكن حصرها في التمازج والاختلاط والتبادل الذي حدث بين الشعوب والحضارات، فالاتصال الاولي بين هذه الشعوب كان له تأثير كبير مما خلف تأثرا متبادلا بينهم، فجعلهم يأخذون من بعضهم البعض، وهذا التلاقح بين الحضارات هو الذي ألغي فكرة النقاء الهووي والثقافي، لذا "لعب مفهوم الهجنة دورا بارزا في زعزعة فكرة الثقافة الثابتة التي تمتلك مواقع امنة تنأى بها عن أي تغير، لان الهجن زعزعت استقرار الحدود الثقافية وطمستها من خلال عملية صهر وتمزيج"[2].

كما كان للمفكر العربي الفلسطيني ادوارد سعيد دور كبير في ابراز مكانة الهجنة داخل العلاقات الإنسانية اليوم، لان هذه الاخيرة هي اصل كل العلاقات البشرية عبر التاريخ، بل ان هذا التاريخ تحكمه لهجنة التي تعد بمثابة واقع محتوم على العلاقات الإنسانية لا مفر منه، وان القول بالنقا ما هو الا محاولة للهروب من الأصل الأول الذي هو في حقيقته تحكمه الهجنة لذا " يعلق ادوارد سعيد أهمية على دراسة جغرافيا الهويات والثقافات والشعوب لمعرفة كيفية تقاطعها على الرغم من الفروق القائمة بينها وتداخلها عبر

[1] – بيل اشكروفت واخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ص 199.

[2] –كريس باكر، معجم الدراسات الثقافية، ترجمة: جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2018، ص ص 375-376.

التأثير اللاترابي. فالهوية لا تنطوي على ثبات او تفرد او ذات شخصية غير قابلة للتغيير ومحتمة الى الابد كشيء كلي وكامل"[1]، بل تخضع للتغير والتحول عبر الزمان والمكان وفي هذا الصدد يقول ادوارد سعيد" جميع الثقافات متداخلة في بعضها البعض، لا ثقافة فريدة ونقية، الكل متغاير الخواص، متباين على نحو استثنائي، ولا يمثل بنية متجانسة أحادية التكوين"[2]، حيث يرجع الفضل في ذلك الى الاستعمار الحديث الذي كان له دور كبير في تعزيز الهجنة الثقافة وساهم بشكل غير مباشر في تغذية الهجنة واعطاها بعدا انطولوجيا قلص الهوة بين الشعوب مما اضعف قوة النقا الهووي الذي اخلى المكان للهجنة لتصبح السمة الغالبة على ثقافات العالم اليوم لتكون بذلك " الهجنة ليست هوية مشوهة بل هي نمط من المماهاة الخاصة بجيل المنتمين الى العالم ما بعد الحديث"[3]، حيث يكون هذا الجيل قد تجاوز الايمان السابق بالهوية القومية والتمسك بها بات غير ممكن وبهذا يكون قد "سمح لنا مفهوم الهجنة بالتعرف على انتاج هويات واشكال ثقافية جديدة، على سبيل المثال: الاسيويين البريطانيين، البانجرا البريطانية"[4]، فهذه الهويات الهجينة تحمل معها قيم ومبادئ إنسانية محضة لأنها تجاوزت فكرة التمييز العنصري والاستعلاء الثقافي الذي كان يحكم العلاقات الإنسانية والحضارة لقرون عديدة.

وفي نفس المسار أيضا ذهب هومي بابا في كتابه موقع الثقافة حيث رأى ان القول بالهوية النقية قول لا أساس له بل ان المتمعن في أصول الهوية النقية سيكتشفانها في جوهرها تحكمها الهجنة، و بالتالي فان الهوية النقية ما هي الا من انتاج البشر بدوافع يمكن ان تكون ثقافية او سياسية او نفعية لان القول بالنقا يخلق حيز من التمييز فيكون أصحاب الهوية النقية في المركز وغير ذلك في الهامش، ولعل فكرة القومية

---

[1]- بكري خليل، مفهوم الهوية واسئلة التماثل والاختلاف، ص456.

[2] تيري ايجليتون، فكرة الثقافة، ص 9.

[3]- فتحي المسكيني، الفيلسوف والامبراطورية في تنوير الانسان الأخير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2005، ص 149.

[4]- كريس باكر، معجم الدراسات الثقافية، ص 376.

كانت سببا عزز نشوء الهوية النقية وهذا ما أدى الى " التركيز أكثر على الهوية، على الحاجة إلى الجذور، على قيم ثقافة المرء وإحساسه بالإنتماء. أصبح من النادر توجيه النفس إلى الخارج، لتكون هناك رؤية أوسع"[1]، ولا خير امام انسان اليوم الا الاعتراف بهذه الهجنة والقبول بها لأنها باتت السمة الغالبة على العلاقات بل هي المحدد الذي نستند عليه في بنا العلاقات.

هجنة الهوية عند فرانز فانون:

شكلت الهوية احدى الموضوعات الأساسية في اعمال فرانز فانون حيث ارتبط طرحه الهووي مع مسالة الثقافة القومية وبالتالي فانه لا يمكن التطرق الى مسالة الهوية الا بعد الاطلاع على موقفه من الثقافة القومية وهذا الامر قد تطرقنا إليه في الفصل الأول من البحث، حيث تبين ان القومية بنيت على الهوية الثقافية، لان كل من القومية الثقافة يستند الى التاريخ ويستمد كل منهما اصوله الأولى.

ان الهجنة عند فانون كانت نتيجة الاختلاط الحاصل بين الشعوب ويعد الاستعمار بكافة اشكاله من بين العوامل التي كانت خلف ظهورها، لان المتتبع لتاريخ الاستعمار وتأثيراته سيجد ان التأثير الثقافي كان من بين اهم التأثيرات المترتبة عن الاستعمار، لان المستعمر عندم أراد ان يقضي على ثقافة الشعوب المحتلة واستبدالها بثقافة حدث تلاقح بين الثقافتين فعلى سبيل المثال نجد ان الزنجي اليوم يتحدث لغة المستعمر لكنه لايزال يحتفظ بجزء من ثقافته ومن عاداته وتقاليده وهذا ما نلاحظه في لباسه وطريقة اكله، وكذلك نجد ان الزنجي سواء كان داخل وطنه او خارجه يحاول دوما ان يحاكي الاخر الغربي المتحضر ويحاول أيضا ان يساير نمط حياته وهذا ما نلمسه في كتاب فرانز فانون بشرة سوداء اقنعة بيضا حيث يكشف هذا الكتاب عن وجود " صورة انعكاسية ويبين الوضعية التي نكون فيها ضمن فضاءين في الوقت نفسه، بحيث

[1] – إدوارد سعيد، دانيال بارنبويم، **نظائر ومفارقات إستكشافات في الموسيقى والمجتمع**، ترجمة: نائلة قلقيلي حجازي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص ص 33-34.

يكون من المستحيل ان يقبل المتطور(المندمج) دعوة اعتناق هوية المستعمر :انك طبيب وكاتب وطالب، انك مختلف عنا، انك واحد منا"[1]، فالهجنة هي دعوة الى قبول الاختلاف رغم وجود التشابه، دعوة للتخلي عن الأصول رغم عدم نقائها.

ان الهجنة رحلة للبحث عن هوية جديدة تتسع لكل الهويات وتتقبل كل الاختلافات مهما كانت عرقية وثقافية ودينية حيث يعتقد هومي بابا " تبرز كبديل لمواجهة الحدود القاسية التي فرضتها التراتبية الثقافية الغربية للهوية، إذ تتموقع هذه الثقافة ذات الطبيعة الهجينة في الفضاء البيني أو في الفضاء الثالث فضاء الهجنة الثقافية حيث امتزاج الثقافات هو الهوية الجديدة "، غير ان ادوارد سعيد لا يعتبر الهجنة بشي جديد على العلاقات الإنسانية بل الهجنة موجودة من قبل والاختلاط والتمازج كان هو السمة الغالبة على العلاقات الحضارية والثقافية حيث يقول في هذا الصدد : وهذا ما اكد عليه ادوارد سعيد بقوله " في رأيي فكرة الهويات الضيقة والمنفصلة ليس لها أساس تاريخي بل إننا ننتمي إلى هويات أوسع بكثير، إلى هويات وئامية أكثر "[2]

[1]– ماريا بين يديتا باستو، فانون هومي بابا تجاذب الهوية وجدل في فكر ما بعد كولونيالي، ص3.

[2] ادوارد سعيد، السلطة والسياسة والثقافة، ترجمة: نائلة قلقيلي حجازي، دار الآداب، بيروت، ط 1، 2008، ص 452.

نتائج الفصل الثاني:

مما تقدم نستنتج ما يلي:

-ان الهوية من بين المفاهيم التي عرفت في الفكر الفلسفي تطورا، فقد انتقلت من المنطق الى المعرفة ثم الى الانطولوجيا لتستقر على دلالة مفادها ان الهويةهي المحددة لانتما الافراد الى جماعة معينة، وانتسابهم الى مجمع له ما يميزه عن غيره من المجتمعات.

-ان الهوية النقية كانت من بين المعارف التي شكلها الغرب من اجل ضمان تفوقه علىالشعوب الأخرى، لانه فانون يقر بان تاريخ الهويات خال من النقا، وان هذه الصفة التي أسندت الى الثقافة من اختراع الغرب، وقد ساد هذا الاعتقاد منذ العهد اليوناني الى اليوم رغم بروز اتجاهات فكرية معارضة لذلك.

-شكلت الهوية موضوعا جوهريا في الدراساتما بعد الكولونيالية، لانه هذه الدراسات تناولت مفهوماهوية من منظور نقدي للكشف عن ارادات الغربية الكامنة خلف اختراعه لهذه المفهوم وذلك حتى يتمكنوا من زعزعة التمركز الغربي القائم على فكرة النقا والافضلية.

-ان الهجنة مثلت الرهان الجديد الذي قدمه أصحاب الدراسات ما بعد الكولونالية، ذلك لان لهويات والثقافات شهدت عبرالتاريخ الاختلاط والامتزاج، وبالتالي فانه لا وجود لهوية نقية ومن ثم فانه لا فائدة ورا تفاخر الغرب باصوله التي هي في حقيقة الامر هجينة.

المبحث الأول: الثقافة واصول الهوية

أولا: اللغة والهوية

ثانيا: الدين والهوية

المبحث الثاني: نقد المركزية الثقافية الغربية

أولا: مفهوم المركزية الغربية ومصادرها

ثانيا: نقد المركزية الغربية

المبحث الثالث: الهوية الثقافية وابعادها الكونية عند فانون

أولا: مفهوم الكونية

ثانيا: الهوية الثقافية من الخصوصية الى الكونية

تمهيد

ان الثقافة من بين المفاهيم الأكثر خطورة وهذا راجع الى التأثير الذي يمكن ان تحدثه على العلاقات الإنسانية والحضارية، فهي يمكن ان تكون أداة للسلام والامن، كما انها يمكن ان تكو وسيلة للصراع والانقسام، ولعل هذا هو دور الذي لعبته الثقافة طيلة التاريخ البشري الى غاية بداية القرن العشرين، اين بدأت النظرة الى الثقافة تصبح اكثر عمقا، لأنه لم يعد يتعامل مع المفهوم بسطحية بل أصبحت الثقافة مفهوم واسع قادر على استيعاب كل التقاليد الحضارية بما تحمله من اختلافات لتكون بذلك مفهوم مرن له قابلية الانفتاح والتفتح بدلا من التعصب والتحجر للموروث الثقافي، وهذا ما سيقود الثقافة الى كونية تجتمع في ظلها كل الثقافات والهويات دون ان يلغي بعضها البعض، فالأمر الوحيد الذي سيتم الغاؤه في ظلها هو المركزية الغربية التي ستخلي مكانها للهجنة باعتبارها افضل بديل يمكن ان يتحقق في كنفها التعايش السلمي بين كافة الشعوب، وعليه فما المقصود بالمركزية الغربية؟ وما هي مصادرها؟ وما موقف فرانز فانون وأصحاب الدراسات ما بعد الكولونيالية منها؟ وكيف يمكن ان تنتقل الثقافة من الخصوصية الى الكونية؟

الثقافة واصول الهوية

ان الثقافة هي مصدر الهوية من خلالها فقط يمكن تحديد الهوية وذلك من خلال العودة الى مكونات الثقافة المتمثلة في اللغة والدين والتاريخ فهذه الثلاثية تعد من بين اهم المصادر الثقافية التي اعتبرها فانون ضرورية لتحديد هوية الشعوب، لأنه لا يوجد أي شعب الا من خلال هذه الثلاثية، لهذا منحها فانون اهتمام كبير في اعماله خاصة في كتابه بشرة سودا واقنعة بيضا حيث أراد من خلال ذلك الكشف ان الغرب يحدد هوية الاخر من خلال العرق في حين ان الهوية في حقيقة الامر لا تستند على ذلك فهناك ما هو اهم من العرق هو اللغة والدين والتاريخ، ووجود هذه العوامل مشتركة يحدد اصل الشعوب وانتمائها الحضاري والجغرافي وهو ما ذهب اليه أيضا صامويل هنتنجتون عنما قال " الناس يعرفون انفسهم من خلال النسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات والتقاليد والمؤسسات الاجتماعية"[1]، غير ان هنتنجتون في هذه الحالة لم يتوقف عنده مفهوم الهوية عند حدود اللغة والدين والتاريخ بل تجاوزها الى المؤسسات الاجتماعية التي تميزت بيها الدولة الحديثة.

أولا/ اللغة والهوية:

ان اللغة تعد من بين اهم العوامل التي يتم الاستناد عليها في تحديد هوية الفرد لذا ان فانون أراد الارتقاء باللغة واعتبارها علامة واضحة على إنسانية الانسان فهي الخاصية التي تميز الانسان عن الحيوان كما انها دليل على وجود الانسان في هذا العالم لان وظيفة اللغة أيضا عنده تتضح من خلال التواصل مع الاخر حيث يقول:" ان تتكلم يعني قطعا ان تكون موجودا من اجل الاخر"[2]، أي ان هوية الانسان الحقيقية تكمن في التواصل مع الغير بالاعتماد على اللغة وغياب اللغة يعني نزع الإنسانية عن الانسان، وما دام

[1]– زموري العياشي، الهوية الثقافية من الخصوصية الى الكونية، ص 387.

[2]– Franz fanon ; black skin white masks ; plutopress ; new york ;1967 ;p 17.

الانسان عند فانون يتكلم فهذا يعني انه يمتلك ثقافة وحضارة، وفي هذه الحالة لا يمكن اختزال اللغة في كونها أداة تواصلية فحسب بل قيمتها تتجاوز ذلك الى التعريف بشعوب وهويتها.

ان اللغة محددة لهوية الفرد والجماعة لأنه من خلالها فقط تتعين هوية الجميع ويتضح انتمائهم الثقافي والحضاري وكذلك الجغرافي، لهذا نجد ان فانون يؤكد وبإلحاح على قيمة اللغة ودورها في تحديد انتساب الافراد، لا نجده في دعوته الى التصدي للاستعمار والمقاومة يدعو الى تعلم لغة المستعمر لغاية واحد فقط وهي من اجل التصدي له خطابيا وليس اكتسابها من اجل الاقتداء به، فلغة المستعمر ليست دليل على التحضر وتعلمها لا يعنيانك ستصبح واحدا منهم بل ان " اعتماد هذه اللغة قد ينعكس سلبا على أولئك الذين فرضوها، ان لغة المستعمر يمكن استخدامها للهجوم على نظام السيطرة السياسية"[1]، ومخاطبته بلغته من اجل إيصال مضمون قضية التحرر والمطالبة بالحرية.

يرى فانون ان شعوب العالم الثالث التي لجات الى تعلم لغة المستعمر تعيش حالة من الاغتراب، لأنها تحاول ان تتكلم لغة ليست لغتها، وهي اللغة التي لا تمثلهم ولا تمد لأصولهم بأية صلة، وهذا ما يسبب تأثير نفسي عميق يكبل حريتهم ويلغي وجودهم امام المستعمر الذي اصبحوا في تبعية واضحة له، فغايتهم كانت في البداية هي إيجاد ما يثبت انسانيتهم وانهم مثلهم مثل أصحاب البشرة البيض وبإمكانهم بلوغ الإنسانية اذا تحدثوا واستعملوا لغته، لكن هذا لا يعبر الا عن احتقارهم لأصولهم بسبب الشعور بالنقص الذي زرعه فيهم المستعمر ليجدوا في الأخير انفسهم بلا اصل لانهم ضيعوا اصلهم الأول والحقيقي، وتبنوا هوية ليست بهويتهم"[2].

[1] محمد الجرطي، ادوارد سعيد من تفكيك المركزية الغربية الى فضا الهجنة والاختلاف، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط 1، 2016، ص49.

[2] - Franz fanon ; black skin white masks ; p 140.

ثانيا: الدين والهوية

ان الدين كان من بين العوامل أيضا المحددة للهوية، وان الشعوب تمسكت بدينها لأنه رمز لهويتها، خاصة خلال العصور الوسطى اين أصبحت الشعوب تعرف هويتها وهوية غيرها من خلال الدين، أي ان الدين كان هو المعيار الذي تم من خلاله تقسيم العالم الى حضارات، كل حضارة اخذت اسم ديانتها وهذا الامر أشار اليه فانون في كتابه معذبو الأرض عندما تحدث عن الثقافة القومية ودورها في تغذية الروح الثورة التحررية وهو ما اشرنا ليه سابقا حيث اعتبر الدين في القومية العربية الإسلامية محرك قوي يدفع بالشعوب الى التمسك بهويتها، وادراك نسبها حيث يقول فانون" مقابل كراهيته والحقد والرغبة في الثأر التي تميز المستعمر نجد الروح الدينية والمعتقدات الإسلامية المطمئنة هي التي تميز الخاضع للاستعمار"[1].

ان الاستعمار لا يمكن ان يمثل الهوية الحقيقية للشعوب بل هو على العكس من ذلك يسعى الى طمس هويتها والغائها من الخارطة الثقافية. لكن مادامت الشعوب متمسكة بدينها فأنها محافظة على وحدتها وهويتها وهذا ما أدركه فانون بعد انخراطه في صفوف الثورة الجزائرية، لأنه من قبل كان يرفض الاعتراف بالثقافة الزنجية وكانت يدعو الى جانب ايمي سيزار الى الاندماج في ثقافة المستعمر، الا ان بعد قدومه للجزائر تراجع عن أفكاره لأنه لم يكن يدرك مدى قوة وفاعلية العادات الدينية في مقاومة الاستعمار وفي حفظ وحدة الشعوب وتماسكها[2].

[1] حيفري عبد الحميد، كتابات فانون وابعادها السيكوسوسيولوجية في الكشف عن التغيرات الراديكالية للشخصية الجزائرية في مواجهة الاستعمار، ص 235.

[2] المرجع نفسه، ص 234.

نقد المركزية الثقافية الغربية

أولا: مفهوم المركزية الغربية ومصادرها

ان المركزية الغربية شكلت موضوعا جوهريا في الفكر الفلسفي المعاصر واخذت اهتمام كبير من طرف الفلاسفة والمفكرين في العالم الغربي والشرقي على حد سو، فقد كانت الشغل الشاغل للدراسات ما بعد الكولونيالية، خاصة بعدما أصبح الغرب يسعى الى المحافظة على تمركزه بشتى الوسائل والأساليب لكن السؤال الذي يطرح في هذه الحالة ما المقصود بالمركزية الغربية وما هي مصادرها في الفكر الغربي.

ان مفهوم المركزية الغربية يعد من بين المفاهيم الجلية الواضحة بذاتها لأنها تكشف عن ذلك التفوق الذي صنعه الانسان الغربي بنفسه وعلى عاتق الانسان الشرقي الذي لم يتمكن من اثبات تفوقه بسبب الضعف والتخلف الذي يعيشه بفعل تأثيرات خارجية من الغرب، فالمركزية الغربية هي " الممارسة الواعية او غير الواعية، التي تركز على الاهتمامات الأوروبية او الغربية عموما في مجالات الثقافة والقيم على حساب

باقي الثقافات"[1]، الا ان هذا لا يعبر الا على الجانب الظاهر منها فقط وفي مرحلة ما بعد الاستعمار لان التمركز الغربي لم "يقصر التمركز على مجال الثقافة والقيم بينما هم اعم من ذلك واشمل، اذ انه يشل كل جوانب الحياة من سياسة واقتصاد وعقائد..."[2]، أي ان المركزية الغربية لها ابعاد متعددة ومجالات مختفة والتمركز لا يمكن ان يتحقق الا اذا كان على كافة الأصعدة ليكون بذلك المفهوم الدقيق للمركزية الغربية مقتصر على " الممارسة الواعية وغير الواعية، التي تركز على فرض الحضارة والمصالح الغربية عموما في جميع مجالات الحياة على حساب باقي الثقافات والحضارات والشعوب، وبكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة"[3]، ولقد افضى هذا الى ظهور أطراف أخرى في المركز تمثلت في العالم الشرقي بما يضمه من حضارات عربية إسلامية واسيوية افريقية.

وبهذا فان المركزية الغربية ما هي الا انتاج غربي بامتياز أراد من خلاله الغرب ان يحافظ على سيطرته وهيمنته جاعلا من نفسه مركز العالم وهذه المركزية تمنحه الحق والمشروعية في التحكم في شعوب الأخرى الموجودة على الهامش بحجة انها غير قادرة على تسيير شؤونها بنفسها وغير قادرة على مسايرة ركب الحضارة ورسم مسارها الحضاري بنفسها، ليكون الاتباع والتليد قدرها المحتوم وفي هذا يقول سمير امين ان المركزية الغربية ما هي الا " محاكاة النمط الغربي بوصفه الأسلوب الفعال والوحيد لمواجهة تحديات العصر"[4]، أي ان هذه المركزية أصبحت الحل الوحيد لشعوب العالم الثالث للتجاوز واقعها الذي يمتاز بالتخلف والانحطاط في كافة المجالات.

---

[1] – عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية ط1، 2014، ص ص 27-28 .

[2]– عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الإنسان، ص 28.

[3] عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان،ص 28

[4] عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1997، ص 19

وجود الغرب في المركز كان بفعل العديد من العوامل التي استثمرها لصالحه ووظفها لتحقيق تفوقه ومن ثم سيطرته على العالم الشرقي ويمكن تحديد هذه العوامل فيما يلي:

أولا/ عامل الأصل اليوناني:

لقد عاد الغرب الى الحضارة اليونانية واعتبرها مصدرا لتفوقه وهذا لان الحضارة اليونانية في مرحلة ما كانت في قمة التطور، بالتالي فان اعتزاز الغرب بما انتجه اسلافه كانت بمثابة حافزا له من اجل السيطرة على العالم، فالمركزية كان ظهورها الأول مع الاغريق والعودة اليهم ما هو الا أحياء لهذه المركزية لان "جذورها الممتدة في الفكر اليوناني الذي بنيت رؤيته للعالم على ثنائية الانسان والطبيعة، باعتبار ان الانسان مركز الكون، ومقياس الأشياء، وان حقيقته انه عقل، في مقابل الطبيعة او المادة"[1]، فبقيت هذه الثنائية سائدة في تفكير الانسان الغربي فنقلها من الانسان والطبيعة الى الانسان وعلاقته بالإنسان، فالغربي هو الانسان الوحيد الذي يحق له ان يكون في المركز اما الشعوب الأخرى لا بد ان توضع في الهامش، وهذا لكونه الوحيد القادر على بناء حضارة متكاملة.

ثانيا/ عامل العقل:

لقد تميز الغرب بميزة العقلانية، فجعل منها علامة للتحضر والتطور في مقابل العاطفة التي سيطرت على شعوب العالم الشرقي، ويعتبر العصر الحديث العصر الذي تجسدت فيه العقلانية في أبهى صورها خاصة مع الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت صاحب مقولة" انا افكر اذن ان موجود "، فاعتبر العقل هو مركز الوجود فكان خاصية ذاتية تفردت بها الذات الغربية عن غيرها من الذوات الأخرى، فاتحا بذلك المجال لبروز مسألة العلاقة بين الانا والأخر او الذات والغير لتكون " الشبكة التي يرى العقل الأوروبي العالم من خلالها وبواسطتها شبكة تهيمن فيها علاقة أساسية هي علاقة الانا بالآخر، لا علاقة الاخر بالآخر، أي: علاقة

[1] عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، ص 28.

فوقية بدونية، لا علاقة ندية بندية"[1]، لان التمايز الذي خلقته العقلانية الأوروبية اعلى من قيمة الذات الغربية على حساب الاخر وجعلها في مرتبة عليا وهو ما ذهب اليه أيضا باسكال عندما اعتبر علاقة الانا بالآخر علاقة تحكما العداوة والاستبداد لان "للانا صفتان: فمن جهة هو ظالم بذاته، من حيث انه يجعل من نفسه ضد الكل، وهو متنافر مع الاخرين من حيث انه يريد استعبادهم، وذلك لان انا هو عدو، ويريد ان يكون المستبد بكل الاخرين"[2]، ذلك لان الغرب لا يمكن له عن يعرف ذاته الا من خلال وجود الاخر، ولا يستطيع ان يبني وجوده الا من خلال تحويل الأخير الى موضوع للدراسة، فالذات هي الدارس والأخر هو موضوع الدراسة، وهذه التراتبية مفادها ان الانا التي تتسم بالعقلانية قادرة على دراسة الاخر دراسة علمية تحدد من خلالها نقائص الاخر وتبرز دونيته ولعل الاستشراق خير مثال على ذلك لأنه الدراسة الغربية للشرق التي حولت الشرق الى موضوع للدراسة وجعلت من نفسها ذات دارسة وبالتالي كان لها المشروعية تشكيل هوية الشرق والحكم عليه.

ثالثا/ عامل الصراع الطبقي بين الرأسمالية والاشتراكية.

ان بروز النظام الرأسمالي والاشتراكي ودخول كل منهما في صراع مع الاخر تولد عنه انتصار الرأسمالية بكل ما تحمله من مبادئ وقيم تمجد الفردانية والذات محولة بذلك الفرد الى مركز العالم تتحكم فيه الانانية وحب الذات لذا فإنها"صبغت الهوية الغربية بصبغة الفلسفة الصراعية، على اماتة الضمير الغربي، ابان صراعه مع الحضارات غير الغربية، فبما انه هو الأقوى، فهو اذا الاصلح، ولذلك فان صراعه ضد

[1] المرجع نفسه، ص 29.

[2] عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان،ص 30

الحضارات الضعيفة، والبنى الموروثة للأمم المستضعفة هو قانون علمي، ورسالة نبيلة، يقوم بها الرجل الأبيض"[1] لكن في حقيقة الامر ذلك من اجل حفظ بقائه وضمان تفوقه على الشعوب المتخلفة.

لذا فان بروز المركزية الأوروبية يعود الي "مؤثرين متداخلين، أولهما: جملة التحولات الكيفية في النظام الاجتماعي الاوروبي، بما أدى الى بروز الرأسمالية بوصفها نمطا للحياة وذلك من خلال سيطرتها على الأنشطة الاقتصادية، وثانيهما: الانطلاق لغزو العالم بهدف اشباع الحاجات التي استجدت، وتوسيع المجال الأوروبي اقتصاديا"[2]، وجعل العالم الثالث مصدرا للثروة الاقتصادية نظرا لما يملكه من ثروات وخيرات.

رابعا /عامل العرق:

لعب العرق دورا مهما في تشكيل المركزية الغربية، ذلك لان هذه الأخيرة استندت الى العرق واعتبرته مكون أساسي في تأسيس الحضارة لان الحضارة لا يؤسسها لا أصحاب العرق النقي ويعد ارسطو من بين الفلاسفة الأوائل الذين قسموا العالم الى قسمين من خلال العودة الى العرق فكانت الشعوب عندهم يونانية اغريقية تتسم بالنقاء والنبل وشعوب أخرى همجية تتسم بالبربرية والانحطاط وهي اقل مرتبة من اليونانيين لان " ان الأوروبيين المتحدرين عن الجنس الاغريقي يتسمون بميل فطري الى ممارسة الحرية والعقل، بينما يتصف الشرقيون باستمرائهم العبودية ، وعجزهم عن الممارسة العقلية الصحيحة"[3]، وقد زاد الاهتمام بالعرق مع بروز نظرية الاجناس في العصر الحديث وبداية الحملات الأوروبية الاستعمارية لدول العالم الثالث بحجة ان الجنس الأوروبي تمكن من بنا حضارة وانه يحمل على عاتقه نشر هذه الحضارة في دول العالم المتخلف وهذا

[1] عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان،ص 33.

[2] عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، ص ص19- 20.

[3] عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، ص 25.

ما نجده عند فولتير الذي قال " ان الاستعمار امر مشروع طالما ان الانسان الهمجي يتسم بالغباء، ويعيش كالحيوان في حالة مادية بائسة"[1].

كما كان أيضا لنظرية داروين دور كبير في التأكيد على أهمية الجنس وقابليته لتكوين الحضارة لان الغرب نقل هذه النظرية من مجال الحيوانات التي تصارع من اجل البقا الى مجال الانسان الذي تبنى فكرة البقاء تكون للأصلح والاقوى والانقى " اعتمادا على فرضية تقول بوجود سلالات بشرية ترث سمات ثابتة تتجاوز مراحل التطور التاريخي للمجتمع، وان تلك السمات الوراثية هي المسؤولة عن اختلاف التطورات الاجتماعية"[2]، لتكون بذلك السلالة الأوروبية هي السلالة الوحيدة التي تمكنت من تحقيق التطور وبنا حضارة.

خامسا/ عامل التاريخ:

ان التاريخ الغربي كان تاريخ استعلائي، ذلك لان التأريخ الغربي اتسم منذ البداية بالذاتية والتمركز حول هذه الذات ، فكتب من منظور استعلائي اعلى من قيمة ذاته وشوه تاريخ الشعوب الأخرى، بل ذهب الى ان هذه الشعوب خارجة عن التاريخ لأنها لم تتمكن من صنع حضارة وتاريخ يخلد ذاتها ويعبر عن هويتها وكيانها وهذا الامر اكد عليه الفيلسوف الالماني هيجل عندما قام بدراسة تاريخ الحضارات دراسة استعلائية سيطرت على الفكر الفلسفي والتاريخي والاجتماعي الغربي خلال العصر الحديث والمعاصر ولا زالت سائدة اليوم لان هذا الأخير اعتقد ان الغرب هو وحده القادر على بنا الحضارات وان الحضارة الأوروبية هي الحضارة الوحيدة التي تمكنت من الحفاظ على بقائها الى اليوم " وكل ذلكما هو الا نتيجة

[1] عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، ص 29.

[2] عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، ص 25.

لذلك التأصيل الهيجلي، الذي اسماه فوكو بالقدر التاريخي المتعالي الذي خص به الغرب"[1]، ومفاد هذا ان فلسفة التاريخ الغربية كانت مبنية على التمركز وتقديس الذات كما ان " النظرة الهيجلية في فلسفة التاريخ والتي تقوم على نسخ العصر الجديد للعصر القديم، عبر الصراع مع مكوناته، والحلول محلها أولى النظريات الثلاث التي اثمرت وشكلت بنية التمركز الغربي"[2].

سادسا/ العامل الديني:

كانت المسيحية عامل قوة في الحضارة الغربية، فلقد ساهمت في تشكيل المركزية الغربية، لان الغرب اعتبر الديانة المسيحية هي الديانة الصحيحة كونها تحمل كل القيم والمبادئ التي من شانها ان تجعل منها حضارة عالمية، كما ان الغرب استمد من المسيحية روح الفردانية التي نادت بها الحضارة الغربية في العصر الحديث وهذا ما ذهب اليه ماكس فيبر الذي اكد هو الاخر ان على النزعة الفردانية الكامنة في الديانة المسيحية لان هذه الأخيرة " منظورا اليها بوصفها دينا أوروبيا تمتلك قابلية، اكثر من أي دين اخر، لتوليد الفرد، ولممارسة هذا الأخير السيطرة على الطبيعة، وحيث اعلى اشكال السيطرة تلك هي الرأسمالية"[3].

كما وظف أيضا الغرب المسيحية في تأسيسهم للهوية النقي، وفي إقامة التمايز الهووي، فكانت سمة مميزة للغرب عن بقية الشعوب الأخرى وها ما ذهب اليه مونتسكيو الذي اقر هو الاخر بان الدين المسيحي هو الي جعل الغرب في مرتبة اعلى من مرتبة الشعوب الأخرى حيث يقول في هذا الصدد " محال ان نظن هؤلاء القوم بشرا، فان نظنهم بشرا نعتقد اننا لسنا بأنفسنا مسيحيين"[4]، وفي هذا تصريح واضح بان الغرب تفرد لنفسه بالإنسانية دون الشعوب الأخرى.

---

[1] عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، ص 31

[2] المرجع نفسه، ص 32.

[3] عبد الاله بلقزيز، نقد الثقافة الغربية في الاستشراق والمركزية الأوروبية، ص 214.

[4] – عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، ص 29

ان المركزية الغربية مبنية على الثنائيات شرق غرب / الانا الاخر/ الذات الغير/ المركز الهامش، السيد العبد، لان مركزية الغرب لن يكون لها أي معنى في غياب الطرف الاخر، الذي أسست على وجوده هويتها واقامت تمايزها "اذ لا بد ان يكون هناك اخر، فليس هناك سيد بلا عبد، ولا سلطة اقتصادية وسياسية بلا استغلال، ولا طبقة سائدة دون ماشية ترزح تحت النير، ولا فرنسي بلا أجانب ذوي بشرة داكنة"[1]، فوجود الطرف والطرف النقيض ضروري، وافول وغياب هذا الطرف يؤدي الى افول الغرب.

ثانيا: نقد المركزية الغربية

شكلت المركزية الغربية موضوعا مهما في الدراسات ما بعد الكولونيالية، فلقد سعت هذه الأخيرة الى دحض ونقد المركزية الغربية والكشف عن كل ما تحمله من غايات أيديولوجية وامبريالية تسعى من خلالها الى السيطرة على العالم وبشكل دقيق على دول العالم الثالث ممن اجل المحافظة على قوتها، ذلك لان الغرب يستمد قوته وطاقته من استضعاف دول العالم الثالث ويرفض ان تظهر الى الوجود قوة موازية له لأنها ستهدد وجوده وتكون خطرا على مصالحه فما كان عليه الا ان يفرض وجوده بالقوة وان يجد الأساليب والوسائل اللازمة لابقا الشرق تحت سيطرته، لكن كل هذه المحاولات لم تعد اليوم لصالح الانسان الأوروبي خاصة بعد ظهور فلسفات نقدية تطالب بالانفتاح على الاخر مع تعرية الأسس التي بنى عليها الغرب هويته.

يعد روجيه غارودي من بين اهم الفلاسفة المعاصرين الذي قدموا نقدا لاذعا للمركزية الغربية، لأنه سعى الى الكشف عن خفايا هه المركزية وعلى تبيين مدى هشاشة مصادرها والعوامل التي قامت عليها، فاذا اعتبر الغرب حضارته إحياء للحضارة الاغريقية فان روجيه غارودي يرفض هذا الطرح ويذهب الى ان المعجزة الاغريقية التي شهدها اليونان قبل الميلاد ليست نتاجا يونانيا بل هي من نتاج الحضارات الأخرى وبالتالي

[1] – عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، ص 30

فان " أصول الغرب يجب البحث عنها في بلاد الرافدين ومصر، أي في اسيا وافريقيا. لان هذه المراكز الحضارية هي التي غذت كل الحضارات اللاحقة بتصوراتها وافكارها"[1]، وفي هذا يصرح غارودي بان الإنتاج الفلسفي لم يكن خاص باليونانيين فحسب، بل ان للحضارات الأخرى الفضل في ذلك.

كما يعتقد أيضا روجيه غارودي ان الانسان المركزية الغربية عرفت تحولات عبر التاريخ فهي في البداية جعلت الانسان مركزا للطبيعة وعندما احكم قبضته عليها، اصبح يبحث على بدائل أخرى من اجل فرض سيطرته وهيمنته فوجد في لك دول العالم خير بديل فقام بحملات استعمارية على هذه الدول "فالغرب منذ عصر النهضة قد حول علاقة الانسان بالطبيعة الى علاقة فاتح براضخ وهذه العلاقة فرضتها علاقة جديدة هي علاقة التنافس بين الانسان والانسان ، واستتبع ذلك ان ظهرت ايديولجيا، لم تتوقف عند حدود تنظيم هذه العلاقات، انما التبشير بها"[2]، وهو فعلا ما يشهده العالم منذ مطلع القرن العشرين حيث أراد الغرب ان يجعل من ثقافته ثقافة عالمية وديانة ينبغي على كل شعوب العالم اعتناقها.

وفي نفس المسار أيضا ذهب المؤرخ الغربي ارنولد توينبي الى القول بان الحضارة الغربية ليست انتاج غربي محض بل انها استمدت قوتها الحضارية من الحضارات الأخرى وان غياب هذه الحضارات كان سيحول دون قيام الحضارة الغربية، كما ان الحضارة اليونانية التي يتفاخر بها الغرب ويعتبرها معجزة خاصة بهم وفريدة لم يشهد مثلها التاريخ لم تكن من انتاج الغرب وحده ذلك لان " ان المؤسسين الأوائل لذلك الموروث مثل طاليس وانكسمندريس وهرقليطس لم يكونوا اثنيين، انما أفارقة اسيويون ولم يقموا بأي دور متميز في تطوير العلم الهيليني لا في البدء ولا حتى في مرحلة تالية"[3]، وهذا الامر يدفع بالغرب الى إعادة النظر في هويته

[1]– عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، ص 23

[2] – المرجع نفسه، ص 21.

[3]– المرجع نفسه، ص 26

وكذلك في العوامل التي بنى عليها تمركزه العالمي، فاا كان اهم عامل ودليل على مركزية الغرب لا أساس له في التاريخ فان هذا يدعو الى الشك ايض في لعوامل الأخرى مما يجعل من السهل تعرية وزعزعة هذه المركزية الاوروبية.

كما سعى توينبي الى تفنيد الفكرة عامل العرق والجنس او ما يسمى بنظرية الاجناس التي تعتبر الجنس الأبيض هو صانع الحضارة لان "اكثر نظريات الحضارة العنصرية شيوعا هي تلك النظرية التي تضع على منصة الشرف السلالة ذات البشرة البيضاء، والشعر الاشقر، والعيون الشهباء، والراس الطويل"[1]، معتبرا هذه النظرية لا أساس لها والتاريخ يكشف عن تضافر جهود العديد من الاجناس في بناء العديد من الحضارات، أي انه كان هناك تشارك بين هذه الاجناس وان الجنس الأبيض لم يكن المساهم الوحيد في تعبيد الطريق نحو التحضر أي انه " ليس هناك ما يبرر تلك النظرية بان جنسا ما هو الذي سبب الانتقال من البدائية الى الحضارة او نقل العالم من الثبات الى الحركة الدافعة في جزء بعد الاخر من أجزاء العالم منذ زمن يرجع الى ستة الاف سنة"[2].

ان نقد المركزية الغربية من طرف الباحثين والمفكرين والفلاسفة سواء الغربيين او غير الغربيين طال حتى الديانة المسيحية، فاذا كانت هذه الأخير هي مصدر هوية الغرب ومركزيته فانه ليست خاصة به، فاذا كان "يقول الغرب انه هو المسيحي الحقيقي، وتوصف الحضارة الغربية بانها مسيحية، والواقع ان المسيحية التي وظفت معيارا للذاتية الغربية هي في حقيقة امرها شرقية الأصل، الا ان الغرب صادر المسيحية، الى درجة ان العائلة المقدسة أصبحت في التصوير الشعبي مكونة من افراد ذوي شعر اشقر وعيون زرق"[3]، أي ان

[1] – هدى بوفضة: دور الدين في بنا الحضارة في فلسفة ارنولد توينبي المسيحية انموذجا، بحث اعد لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008/2007، ص 22.

[2] مصطفى النشار: فلسفة التاريخ نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توينبي، ص 246.

[3] عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، ص 30.

المسيحية ليست هي الدين الحق للغربيين بل حتى ديانتهم اخذوها من غيرهم من الشعوب ونسبوها الى انفسهم.

لقد تواصل نقد المركزية الغربية في الدراسات ما بعد الكولونيالية من طرف العديد من الباحثين الذين يعد فرانز فانون من بينهم، فقد ذهب هؤلاء الى ان هذه المركزية الغربية التي شكلها الغرب بفضل الاستعمار والاستشراق ما هي الا مركزية وهمية، وان هذه المركزية ما هي أيضا الا اسطورة غربية من نسج خيال الغرب ولا وجود لها في الواقع، فتاريخ العالم دونه الغرب وتحكم في المعارف التاريخية ووجهها الى صالحه، وفي هذا يقول فانون "لقد تم بنا رفاه أوروبا وتقدمها بعرق الرنوج والعرب والهنود والجنس الأصفر وجثثهم، وان أوروبا هي تماما صنيعة العالم الثالث"[1].

ان هذا الغرب هو الذي خلف فجوة كبيرة بين الانسان الغربي والانسان الشرقي وارد عبر التاريخ ان يبقيه تحت سيطرته، فلجا الى الاستعمار واستخدمه في تدمير شعوب العالم الثالث والقضاء على ثقافتها ومحو هويتها من اجل ان ينشر هويته وثقافته" يقول فانون، لان السرد الغربي عن التنوير والتحرر كشف النقاب عن نفاق عاصف، وبالتالي تحول تمثال رقي الحضارة اليونانية- اللاتينية الى غبار"[2]ومن ثم يضمن بقاؤه وقوته في العالم، لان تواجد الغرب في العالم هو تواجد السيد في منزله واي محاولة من طرف شعوب العالم الثالث تشكل تهديدا له وخطرا على مركزيته وسلطته و"تمثل اعمال فانون محاولة للتغلب على الرؤى النظرية العنصرية والاستعلائية، عن طريق ثقافة المقاومة القادرة على ابتكار النفوس الجديدة. للك يجب الهجوم بشكل مباشر على نظم الحقيقة المرتبط بالغزو الامبراطوري عندما صنع الاستعمار التاريخ"[3].

[1] محمد الجرطي، ادوارد سعيد من تفكيك المركزية الغربية الى فضا الهجنة والاختلاف، ص 49.

[2] المرجع نفسه، ص ص51- 52.

[3] المرجع نفسه، ص 50.

كما يرى ادوارد سعيد ان المركزية الغربية وليدة الدراسات الغربية للشرق التي حولت المعرفة الى سلطة استخدمتها في السيطرة على الشرق ووظفتها من اجل فرض هيمنتها عليه، لأنه "بعدما هيمنت الميثولوجيا البيضاء على الفكر العالمي، وأصبح الغرب مصدر العلم والمعرفة والابداع، وموطن النظريات والمناهج العلمية. ومن ثم، اصبح الغرب هو المركز" [1] لأنه يملك المعرفة التي تمنحه الحق والمشروعية في التحكم في العالم، لان من يملك المعرفة هو الي يملك الحق في توجيهها واستعمالها لتحقيق اغراضه ومصالحه الامبريالية، فالمركزية الغربية لا يمكن ان تجعل من الحضارة الغربية حضارة عالمية لأنها تفتقر للإنسانية، لان الإنسانية التي دع اليها الغرب مع مطلع العصر الحديث كانت في ظاهرها عالمية الا انها لم تكن في الواقع كذلك لأنها لم تشمل كل البشر والشعوب بل اقتصرت على الشعوب الأوروبية فقط، اما الشعوب الأخرى فإنها غير معنية بها وهذا يعتبر من بين التناقضات التي وقعت فيها الحضارة الغربية، كما انها تعد دليل على مركزية الغرب وتهميشه لدول العالم الثالث.

ومع ذلك نجد ان فانون قد تنبه الى ان " الفكر الأوروبي تعامل باستعلاء وعنصرية شديدة مع الافريقيين حيث اتبع نموذج عبئ الرجل الأبيض والمركزية الأوروبية والرسالة التنويرية والحضارية للرجل الأبيض"[2] وهذا الامر ساهم في ترسيخ فكرة ان الغرب في المركز والافارقة في الهامش بل تحول مع مرور الوقت الى حتمية طبيعية، لان التمسك بفكرة المركز سيشكل بؤرا للتوتر والصراع ويخلق انقسامات كثيرة داخل العالم، فبدلا من ان يعيش الجميع في فضاء واحد ومشترك يحكمه السلام والامن والحوار يتحول الى عالم غارق في الحروب والصراعات والإقصاءات.

[1]–احمد عبد الحليم عطية، ما بعد الكولونيالية في ما بعد الحداثة قراة في المختبر الجزائري، مجلة الاستغراب، صيف 2018، ص 169.

[2] حيفري عبد الحميد، كتابات فانون وابعادها السيكوسوسيولوجية في الكشف عن التغيرات الراديكالية للشخصية الجزائرية في مواجهة الاستعمار، بحث اعد لنيل شهادة الدكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، ص 220.

يرى فرانز فانون ان المركزية الغربية أدت الى تهميش شعوب العالم الثالث ويعتبر الزنوج خير مثال على ذلك، لان الاستعمار الغى هوية الزنوج وثقافتهم واعتبرهم شعب بلا تاريخ ولا حضارة شبيه بالحيوان وخارج عن دائرة الإنسانية تكريسا " للاعتقاد التفوقي وإعادة انتاجه من دون انقطاع مركزا انتاجه على هذه الثنائية الضدية " الانا/ الاخر، الطيب/ الشرير، الأبيض/ الأسود، الغني/ الفقير، الفوقي/ الدوني"[1] وبالتالي لا ينبغي معاملته كما يعامل الفرد الأوروبي فهو في مرتبة ادنى يجب عليه ان يقبع في الهامش ويبقى فيه، لان هذا هو مصيره وقدره الذي فرضته عليه الطبيعة، لكن فرانز فانون يرفض هذا التهميش والاقصا ، فان كان الغرب قد فرضه بالقوة فيمكن للشعوب المستعمرة ان تسترد حقوقها وتؤسس لنفسها مكان في المركز من خلال المقاومة بمختلف أنواعها خاصة الثقافية لان "عملية التحرر من الثقافة الأوروبية المقصية للثقافة الزنجية والعربية والمنمطة للإنسان هي عملية ثقافية بالدرجة الأولى تستهدف الرد على السرديات التي اقصتهم[2]"واخرجتهم من المركز الى الهامش.

ان فانون كان يسعى من خلال اعماله الى تفكيك الفكر الغربي وخلخلته والكشف عن خباياه الموجودة خلف ما يتظاهر به، باعتباره ناشر للحضارة وحامل للقيم الإنسانية بممارساته الاستعمارية، لذا فان اعماله كانت بمثابة دعوة الى إعادة" النظر في المواقف الأورو-مركزية للفكر الغربي الذي يعتقد أصحابه ان أوروبا هي اصل الحضارات وبقية العالم هي مجرد توابع متوحشة"[3]، لان هذا التمييز الذي اخترعه الغرب كان

[1] حيفري عبد الحميد، كتابات فانون وابعادها السيكوسوسيولوجية في الكشف عن التغيرات الراديكالية للشخصية الجزائرية في مواجهة الاستعمار، ص 218.

[2]- محمد الجرطي، ادوارد سعيد من تفكيك المركزية الغربية الى فضا الهجنة والاختلاف، ص 80.

[3] حيفري عبد الحميد، كتابات فانون وابعادها السيكوسوسيولوجية في الكشف عن التغيرات الراديكالية للشخصية الجزائرية في مواجهة الاستعمار، ص 245.

لصالحه، فجعل الغرب بذلك يتموضع في المركز واخرج الشعوب الشرقية الى الهامش ووضعها في حافة التاريخ ناكرا بذلك كل الاسهامات التي قاموا بها في مجال الحضارة.

ثانيا: الثقافة من الخصوصية الى الكونية

أولا: مفهوم الكونية

يعد مصطلح الكونية من بين لمصطلحات التي طغت على الفكر الفلسفي المعاصر، وهدا راجع الى تلك التحولات التي شهدتها العلاقات الإنسانية على المستوى العالمي، مما جعل المفكرين يتنبهون الى ان هده العلاقات لم تعد تخضع للضوابط المحلية بل تجاوزتها نحو العالمية، وهذا يعوذ الى ذلك التحول الذي احدثته الحداثة التي حولت اهتمام الانسان نحو الانسانية متجاوزة بذلك المركزية اللاهوتية ليحل محلها العقل كبديل لكل ما هو ديني فتحول بذلك" النقاش الفكري ...ليصبح في الفترتين: الحديثة والمعاصرة، حوارا بين القيم الخاصة والقيم المشتركة، وان شئنا القول: حوارا بين الخصوصي والمشترك، المحلي والعالمي"[1]، لتكون الكونية وليدة هذا الحوار الاتيقي الذي يسعى الى ترميم العلاقات الإنسانية على الصعيد العالمي، باعتبار ان العالم هو الحيز الوجودي الذي يضم الانسانية كافة، والبحث في دلالة مصطلح الكونية واشتقاقاته يؤكد هذا الطرح فقد جاء في موسوعة ستانفورد ان " cosmopolitan مستمدة من الكلمة اليونانية kosmopolites اي مواطن العالم، وتستخدم كلمة cosmopolitanism، لوصف مجموعة واسعة من الآراء المهمة في الفلسفة الاخلاقية والاجتماعية السياسية"[2] ذات منظور كوني وعالمي.

لقد مر مفهوم الكونية بمرحلتين المرحلة الأولى كانت في العهد اليوناني، عند استخدامه في مجال المنطق والمعرفة، وحمل المصطلح دلالة الكلية للتعبير عما هو شمولي في مجال المعرفة وهذا الطرح نلمسه عند افلاطون عند حديثه عن المعقولات المطلقة الموجودة في عالم المثل وكذلك نعثر أيضا على هذا المفهوم بمعنى

[1] – الحسين اخدوش، جدلية الديني والكوني بحث في الخلفيات المرجعية والمنهجية الكامنة وراء القيم الكونية ومدى اتصالها بالديني– مقاربة تاريخية نقدية–، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2014، ص 28.

[2] – فاطمة اسماعيل، بين الكونية وخصوصية الثقافة، رؤية تحليلية نقدية، اوراق فلسفية، الكونية والخصوصية الثقافية اعمال الملتقى الدولي جامعة قالمة ، العدد 62، 2019، ص 157

الكلية في المنطق الارسطي، وقد ساد استعمال هذا المفهوم منذ القرن السادس قبل الميلاد الى غاية القرن الرابع ميلادي، اما في المرحلة الثانية فان الكونية اخذت معنى العالمية من منظور اكسيولوجي أيديولوجي للتعبير عن القيم الإنسانية العالمية المشتركة بين كافة البشر، وتعد الحضارة الغربية مهد لهذه الدلالة التي ظهرت منذ القرن التاسع عشر ولازالت تستعمل الى يومنا هذا[1].

كما يمكن القول ان الكونية تضرب بجذورها في الأديان السماوية كالمسيحية بما تحمله من تعاليم دينية إنسانية، وكذلك في الدين الإسلامي الذي تعتبر تعاليمه كونية وعالمية لا تقتصر على مجتمع معين بل تشمل كل المجتمعات، والقران الكريم غني بالآيات القرآنية التي تثبت ذلك ومن بين هذه الآيات نذكر قوله تعالى" يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير" سورة الحجرات الآية 13، ففي قوله تعالى دعوة الى الانفتاح على الاخر المختلف والتعرف عليه، بدلا من اضطهاده وتهميشه "ان الكوني مفهوم ديني بالدرجة الاولى فهو يقدم رؤية شاملة للكون، وهو يكشف عن ضرورة انصياع كافة المخلوقات لارادة الخالق، وهو مفهوم فلسفي بالدرجة الثانية فهو يدل على كل ما هو مشترك انسانيا من المبادئ والقيم كحقوق الانسان، والعدالة والحرية وغيرها، ولذلك يعد الكوني هو الفضاء او الافق المشترك الذي يحمل خصائص وصفات مشتركة توحد كافة البشر على اختلاف خصوصياتهم وتنوعها" [1]" .

ان الاطلاع على المقاربات الدينية والفلسفية يكشف ان مصطلح الكونية يحمل دلالة واحدة في المجالين فهو "نداء اتيقي، للقول بشمولية القيم الانسانية وعدم التمييز بين الافراد على اساس الاختلاف العرقي او الجنسي او الطبقي او الديني... هو النظر في الانسان ومنزلته في العالم والكيفية التي يتعين ان

[1] – حملاوي مهتور، فصل المقال فيما بين العالمية والكونية من اتصال، اوراق فلسفية الكونية والخصوصية الثقافية أعمال الملتقى الدولي قالمة، ص 373.

تكون بها علاقته بالأخرين"[1]، لان الغاية من الكونية هو تجاوز الصراع وبؤر التور الموجودة بين البشر واستبدالها بقيم إنسانية تحفظ الوجود الإنساني.

ثانيا: الهوية الثقافية من الخصوصية الى الكونية

ان مسار الثقافة شهد تطورا مع مطلع القرن العشرين وبروز العديد من المقاربات الفلسفية التي ارادت ان تتجاوز النظرة الضيقة للثقافة التي سيطرت على الفكر البشري منذ القديم، ذلك لان التصور الثقافي القديم كان تصور ضيق مبني على فكرة التميز الثقافي والنقا والافضلية ، وان لكل شعب ثقافته الخاصة التي لا ينبغي لها ان تختلط بالثقافات الأخرى التي تفتقر لصفة النقاء، فكل ثقافة تكون قائمة على هذا المنظور هي ثقافة ضيقة تتسم بالخصوصية غير منفتحة على غيرها من الثقافات الاخرى بالرغم من ان التاريخ ينفي وجود مثل هذه الثقافات القائمة على الخصوصية لأنها في الواقع لا وجود لها وان كل الثقافات شهدت اختلاط وتمازج فيما بينها وبالتالي لا وجود للخصوصية الثقافية "ان مفهوم التعدد الثقافي الدي صيغ في امريكا، قد ادى بشكل جوهري الى المحافظة على حق الوجود الثقافي للجاليات سواء أكانت محلية او مهاجرة او من اية طبيعة اخرى"[2].

ان الخصوصية الثقافية التي توهم الغرب بوجودها والتف حولها واسس لها، واحتمى بها من الاخر الشرقي واستعملها من اجل التحكم فيه من خلال رسم صورة في غاية الرقي في ذهن الفرد الغربي حول ثقافته ورسم صورة سيئة في ذهنه عن ثقافة الشعوب الأخرى، فبرمج ذهن الفرد الغربي على ان ثقافته ارقى الثقافات واحسنها وان باقي الثقافات لا ترقى الى مستوى ثقافته وبالتالي لابد ان لا تختلط ثقافته بثقافتهم

[1] سعيد الجابلي، الهوية في مساراتها بين هوس الخصوصي ورهان الكوني، مؤمنون بلا حدود، 2021.

[2] – نيكولا جورنه، بين الكوني والخصوصي البحث عن البدايات – طبيعة الثقافة تشييد الهويات، ترجمة: اياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط 2، 2014، ص 18.

وان المحافظة على الخصوصية الثقافية يحمي الفرد الغربي من الشر الذي يمكن ان يلحق به من طرف الانسان الشرقي الي يجهل أساليب الحوار والتعايش والتعامل مع من هم احسن منه.

لكن الغرب مع هذه المحاولات ومن خلال ارادته في زعزعة ثقافة الانسان الشرقي من خلال الاستعمار لم يكن يعلم بانه يمهد للدخول في مرحلة الكونية التي لا يمكن ان تكون فيها السيطرة للثقافة الغربية بل تتعايش فيها كل الثقافات مع بعضها البعض دون أي اقصا او تهميش لان المجتمع العالمي اليوم أصبح قابل للاختلاف ويعتبره سمة العصر، وانه لا بد من قبول الاخر المختلف عني دينيا وعرقيا ولغويا، لان هذا الاختلاف سيكون هو الدافع نحو إقامة مجتمع قائم على السلام الدائم لا مكان فيه للحرب والظلم والاضطهاد.

ان المحاولات التي بذلها الغرب من اجل خلق الانقسام والانشطار في العالم، وكل الأساليب و الوسائل التي وظفها سرعان ما انقلبت عليه، فلم تعد لصالحه، فالاستعمار على سبيل المثال استعان به الغرب في السيطرة على دول العالم الشرقي، واراد من خلاله يلغي ثقافته وان ينشر ثقافة الاستعمار، لكن هذا الامر تحول مع مرور الوقت الى خطر يهدد قوة الغرب ومصالحه ليس في دول العالم الثالث فحسب بل داخل حدوده، لان هذا الاستعمار سمح بالتقاء ثقافات متعددة وهذا الالتقاء نجم عنه تأثر وتأثير، فبشكل مباشر وغير مباشر نجد ان هناك تأثير بين المستعمر والمستعمر افضى الى تأثر واضح نلاحظه من خلال تعلم شعوب العالم الثالث لبعض التقاليد الثقافية الخاصة بالمستعمر كاللغة وثقافة اللباس كما نجد في الوقت نفسه ان المستوطنين الأجانب اخذوا من ثقافة الشعوب المستعمرة" كما يقول فانون، فان المنظور الكوني يتحقق دوما على حساب السكان الأصليين"[1].

[1] محمد الجرطي، ادوارد سعيد من تفكيك المركزية الغربية الى فضا الهجنة والاختلاف، ص52.

يرى فوكوياما ان " ابتكار نموذج منفتح للهوية الوطنية على غرار العقيدة الامريكية، او هي الهوية المنفتحة (المتقبلة) للقادمين الجدد بغض النظر عن العرق او الدين"[1].

ان الكونية كانت الغاية التي يصبو اليها أصحاب الدراسات ما بعد الكولونيالية، رغبة منهم في رد الاعتبار لشعوب العالم الثالث، وتحقيق قدر من المساواة مع الشعوب الغربية، ذلك لان الإنسانية هي السقف الذي يضم كل البشر على اختلاف هوياتهم وثقافتهم وعرقهم ولونهم، وهذا ما أراد فانون تحقيقه من خلال تأكيده على الهجنة ونفيه للثقافات النقية والهويات الخالصة، فالكولونيالية ما هي الا حلقة وصل من جديد بين الشعوب، كما انها ساهمت بشكل كبير في عودة الهجنة واختلاط الثقافات" فالهوية التي تؤمن بالثبات هي هوية مغلقة ومنغلقة وجامدة، اما الهويات التي تؤمن بالتغير فهي التي تمتاز بالتفتح والانفتاح والتفاعل، ان الهويات كائنات تخضع لنفس منطقها الحيوي في النمو والتغير"[2].

لقد اتسع الاهتمام بالكونية أيضا لدى أصحاب الفلسفة الغربية المعاصر، فقد ولد من رحم المجتمعات الأوروبية فلاسفة يؤمنون بالكونية والانفتاح الثقافي والحضاري، والتعددية الثقافية فقد كانت "الدلالة الفلسفية للكونية مع كانط فيلسوف التنوير والحداثة وصاحب اهم صياغة فلسفية لجمهورية معدلة تتراهن على منزلة الانسان بوصفه ذاتا حرة ومواطنا مستقلا وانسانا جديرا بان يكون سعيدا ومواطنا كونيا في عالم يتسع للجميع"[3]، فكانط من خلال نزعته الانسانية وقيم السلم والتعايش السلمي أراد ان يؤسس لجمهورية كونية يكون مركزها الانسان بصفته مواطنا في هذا العالم.

---

[1] – زموري العياشي، الهوية الثقافية من الخصوصية الى الكونية، ص 386.

[2] – عبد الغني بوالسكك، محور العيش المشترك بين الانا والأخر محاولة في معرفة وفهم الانا والأخر، اعمال مؤتمر ثقافة العيش المشترك، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، ط 1، 2018، ص 181.

[3] حملاوي مهتور، فصل المقال فيما بين العالمية والكونية من اتصال، ص 373.

كما نجد أيضا كلود ليفي ستروس قد اعطى أهمية كبيرة لمسالة الانفتاح الثقافي وقبول التعددية الثقافية باعتبارها حق طبيعي، لتكون بذلك الكونية مع ليفي ستروس لا تعني وجود نموذج ثقافي واحد مهيمن بل الكونية تعني "قبول الانفتاح على الحضارات الاخرى دون التفريط في مقومات الهوية بل وبضرورة اعتبار كل واحدة انها تتميز بقدر من التفوق وهو ما يمنحها القدرة على تحقيق قدر اوفر من الابداع ومن تحقيق التميز عن بقية الحضارات"[1]، أي ان الاختلاف الثقافي دافع نحو الابداع ولا يمكن ان يكون أسلوبا لتهميش الثقافات الأخرى واقصائها من دائرة التاريخ.

وفي نفس الاتجاه أيضا سار يورغن هابرماس الذي دع هو الاخر الى كونية تتعايش في ظلها كافة الشعوب رغم ما تحمله من اختلافات اثنية وعرقية وثقافية، فالكونية في نظره تقوم " على احترام منزلة الحق الفردي للذات الانسانية بما هي ذات تنتمي للمجموعة الانسانية الكونية "أنتمي للبشر" ان الانسان الكوني يقتضي وجوده شروطا واقعية ووعيا يؤهله الى الانخراط في تأسيس عالم اخر وانسان كوني حين يتغير تصورنا للعالم وللإنسان"[2]، وبالتالي فان هابرماس يرى بان الكونية لا يمكن ان تتحقق الا اذا كان هناك تغيير على مستوى الانسان والعالم.

[1] المرجع نفسه، ص 373.

[2] المرجع نفسه، ص 374.

نتائج الفصل الثالث:

مما تقدم نستنتج ما يلي:

-ان علاقة الهوية بالثقافة وثيقة، فلا يمكن الوقوف على ماهية هوية الافراد الا من خلال العودة الى اصولهم الثقافية والتي تتحدد عند فانون في الدين واللغة لانه اعتبر هذان العنصران المحددان الاساسيان لهوية أي فرد، ومن خلالهما فقط يمكن لكل فرد ان يعرف انتمائه الرقي والحضاري والثقافي.

-ان حصر فانون للهوية الثقافية في الدين واللغة له غاية ابعد من مجرد الانتما الهووي بل هو اكدعلى هذين العنصرين لانه اكتشف مدى تاثيرهما في الافراد وبالتالي فانه يمكن الاستعانة بهما لمواجهة الاستعار ومقاومته، كما انهما من بين المقومات الأساسية التي توحد الشعوب تحت قومية واحدة.

-ان المركزية الغربية كانت وليدة مجموعة من العوامل التي تمثلتفي العرق والاصل اليوناني ووحدة التاريخ والديانة المسيحية، والغرب وظف هذا من اجل اثبات تفوقه على بقية شعوب العالم، وتاكيد التفوق يمنحه مشروعية التحكم في هذه الشعوب واستعبادها.

-لقيت المركزية الغربية انتقادات لاذعة من طرف العديد من المفكرين والفلاسفة من داخل أوروبا وخارجة، حيث حاولوا الكشف عن مدى هشاشة المركزية الغربية، لانها اسطورة وهمية من تأسيس الغرب فقط، من اجل ان يحافظ على فوته وتسلطه على الشعوب الأخرى.

- رغم محاولة الغرب المحافظة على خصوصيته الثقافية الا انه كان من خلال ممارساته الاستعمارية والتقنية قد ساهم في اختلاط ثقافته بالثقافات الأخرى، وبالتالي فان إخراج ثقافته من النطاق الضيق الى العالمي قد لقيت فشل كبير لان الكونية الراهنة تقوم على الاختلاف والتعددية الثقافية دون الانحياز لثقافة معينة.

الخاتمة

خاتمة

موضوع الهوية الثقافية شكل محور اهتمام الفكر الفلسفي المعاصر، خاصة في العالم الثالث الذي تعرض الى للاستعمار بكل انواعه واشكاله، ويعد الاستعمار الثقافي أبرز انواع هذا الاستعمار، فالحديث اليوم عن الثقافة في العالم الثالث يفرض علينا العودة الى التأثيرات الثقافية التي خلفها الاستعمار في نفوس شعوبه، لان ثقافته اختلطت بثقافة المستعمر، بل ان هذا الاخير سعى الى احلال ثقافته محل ثقافة الشعوب المتخلفة رغبة منه في الهيمنة عليه بكافة الاساليب.

لقد شكلت الثقافة عند فرانز فانون اسلوبا للمقاومة، وان الشعوب إذا ارادت ان تتخلص من الاستعمار فان ما عليها الا التمسك بثقافتها

التي تحمل رموز هويتها، لان الثقافة تعد مصدرا ومرجعا للهوية، وتجرد الانسان من ثقافته والتخلي عنها يعني التجرد من هويته، وهذا ما يقوده الى الاغتراب والانفصام الهووي الذي يصيب الانسان فيصبح يعيش بين هويتين هويه حقيقية نشأ عليها وهوية دخيلة عليه اراد من خلالها ان يكون مشابها للإنسان الابيض.

لم يكتفي فرانز فانون بالكشف عن اهمية الثقافة ودورها في تحديد هوية الشعوب بل سعى ايضا الى الكشف عن سلطة الثقافة وما تحمله من تأثيرات نفسية على هذه الشعوب، فالاستعمار قد كان مدركا ان الثقافة اسلوب فعال وخطير وبالتالي يجب ان يكون في صالحه فسعى الى طمس ثقافة الشعوب المستعمرة ومحو هويتها، واستبدالها بثقافته كونها انقى الثقافات وأفضلها.

ان تأسيس الغرب للثقافة النقية كانت له ابعاد خفية اراد من خلالها تكوين مركزية عالمية مهيمنة جعلته النموذج الوحيد الذي على كل دول العالم، وهذا لكونه استطاع بناء حضارة في غاية التقدم والتطور ينبغي على كل دول العالم الاقتداء به، وهدا الامر دفع فرانز فانون الى تعرية المركزية الغربية واعادة كل ما تم تهميشه الى المركز ذلك لان انسان العالم الثالث مثله مثل انسان العالم المتقدم لا يوجد اختلاف بينهما الا في

لون البشرة والعرق وهذا الاختلاف لا يعطي للغرب المشروعية والاحقية في التحكم في شعوب العالم الثالث، كما ان المعايير التي استند عليها الغرب في تقسيمه للعالم ما هي الا معايير من وضعه، وبالتالي فانه وضع هذه الاخيرة لخدمة اغراضه الإمبريالية والتسلطية.

ان الدراسات ما بعد الكولونيالية وكذلك الفلسفة المعاصرة تسعى الى إيجاد فضاء كوني عالمي يضم جميع الحضارات والثقافات من اجل إيجاد سبل جديدة للتعايش السلمي، الذي بات مطمع العديد من شعوب العالم خاصة في ظل ما احدثته العولمة من انشقاقات بسبب تحيزها للقوى العالمية التي روجت من خلالها لثقافتها وارادت بواسطتها غزو العالم والقضاء على ثقافات الشعوب الأخرى، فهذه المقاربات الثقافية في جوهرها إنسانية، جعلت الانسان محور اهتمامها لكن على نطاق كوني واسع متجاوزة بذلك النزعة الإنسانية التقليدية التي اقتصرت على الانسان الأوروبي فقط.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: قائمة المصادر

1/باللغة العربية :

1- فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار الفارابي، بيروت، ط 1، 2004.

2- فانون، معذبو الأرض، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط 2، 2015.

2/ باللغة الأجنبية:

Franz fanon ; black skin white masks ; plutopress ; new york ;1967

ثانيا: قائمة المراجع:

1-إدوارد سعيد، الآلهة التي تفشل دائما، ترجمة: حسام الدين خضور، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2003.

2-ادوارد سعيد، السلطة والسياسة والثقافة، ترجمة: نائلة قلقيلي حجازي، دار الآداب، بيروت، ط 1، 2008.

3-- إدوارد سعيد، دانيال بارنبويم، نظائر ومفارقات إستكشافات في الموسيقى والمجتمع، ترجمة: نائلة قلقيلي حجازي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005.

4- بيل اشكروفت واخرون، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ترجمة: احمد الروبي واخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2010.

5- تيري ايجليتون، فكرة الثقافة، ترجمة: شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012.

6- جليلة المليح الواكدي، مفهوم الهوية مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة، في الانثروبولوجيا وفي علم الاجتماع، مركز النشر الجامعي، منوبة، 2010.

7- جورج طرابيشي، من النهضة إلى الردة تمزقات الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت، ط 1، 2000.

8- الحسين اخدوش، جدلية الديني والكوني بحث في الخلفيات المرجعية والمنهجية الكامنة وراء القيم الكونية ومدى اتصالها بالديني- مقاربة تاريخية نقدية-، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 2014.

9- دافيد كوت، فرانز فانون، ترجمة: عدنان الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1971.

10- روبرت يونغ، ما بعد الكولونيالية، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، 2018.

11- شيلي واليا، صدام ما بعد الحداثة ادوارد سعيد وتدوين التاريخ، ترجمة: عفاف عبد المعطى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2006.

12- عبد الاله بلقزيز، نقد الثقافة الغربية في الاستشراق والمركزية الاوروبية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2017.

13- عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ط 1، 2013.

14- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والاشكاليات... من الحداثة الى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2006.

15- عبد اللطيف بن عبد الله بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية ط1، 2014.

16- بن محمد الغامدي، المركزية الغربية وتناقضاتها مع حقوق الانسان، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية ط1، 2014.

17- عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1997.

18- عمر فاخوري، كيف ينهض العرب، مطبعة الاهلية، بيروت، 1331 هـ.

19- فائزة شرماط، الفكر الأخلاقي عند بول ريكور، ألفا للوثائق، قسنطينة، ط 1، 2015.

20- فتحي المسكيني، الفيلسوف والامبراطورية في تنوير الانسان الأخير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2005.

21- فريد بوشي، ادوارد سعيد الانسني الراديكالي في اصول الفكر ما بعد الكولونيالي، ترجمة: محمد الجرطي، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 2018.

22- لونيس بن علي، ادوارد سعيد من نقد الخطاب الاستشراقي الى نقد الرواية الكولونيالية، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2018.

23- ماريو باي، اسس علم اللغة، ترجمة: احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 8، 1998.

24- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1960.

25- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 1، 2000.

26- مجموعة من أكاديميين، ثقافة المقاومة، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2016.

27- محمد الجرطي، ادوارد سعيد من تفكيك المركزية الغربية الى فضا الهجنة والاختلاف، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط 1، 2016.

28- محمد الميلي، فرانز فانون الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2015.

29- مصطفى النشار: فلسفة التاريخ نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توينبي، نيو بوك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2017.

30- مهند عبد الحميد، إختراع شعب وتفكيك آخر عوامل القوة والمقاومة-والضعف والخضوع، المركز الفلسطيني لآبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية، غزة، ط 1، 2015.

31- نيكولا جورنه، بين الكوني والخصوصي البحث عن البدايات – طبيعة الثقافة تشييد الهويات، ترجمة: اياس حسن، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط 2، 2014

ثالثا: قائمة الموسوعات والمعاجم

1- احمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.

2- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل احمد خليل، منشورات العويدات، بيروت، ط 2، 2001.

3- الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، ص 216.

جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، الجزء الثاني، دار الكتاب

4- اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، 1982.

5- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

6- كريس باكر، معجم الدراسات الثقافية، ترجمة: جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2018.

قائمة المجلات والمقالات:

1- اعمال مؤتمر ثقافة العيش المشترك، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، ط 1، 2018.

2- سعيد الجابلي، الهوية في مساراتها بين هوس الخصوصي ورهان الكوني، مؤمنون بلا حدود، 2021.

3- مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد 26، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط 1، 2016،

4- مجلة أوراق فلسفية، العدد 62، القاهرة، 2019.

5- مجلة الاستغراب، صيف 2018.

6- مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 40، العدد 1، 2013.

7- مجلة مقاليد، العدد 6، جوان 2014.

رسائل جامعية:

1- هدى بوفضة: دور الدين في بنا الحضارة في فلسفة ارنولد توينبي المسيحية انموذجا، بحث اعد لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2008/2007.

2-حيفري عبد الحميد، كتابات فانون وابعادها السيكوسوسيولوجية في الكشف عن التغيرات الراديكالية للشخصية الجزائرية في مواجهة الاستعمار، بحث اعد لنيل شهادة الدكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر.

الفهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدمة	أ - ح
الفصل الاول: الثقافة بين الأبعاد القومية والارادات الاستعمارية	8– 29
المبحث الأول: مفهوم الثقافة	9
أولا: مفهوم الثقافة لغة	9
ثانيا: مفهوم الثقافة عند الفلاسفة	10
ثالثا: مفهوم الثقافة عند فرانز فانون	13
المبحث الثاني: موقف فرانز فانون من الثقافة القومية	16
أولا: مفهوم الثقافة القومية	16
ثانيا: الثقافة القومية عند فرانز فانون	16
المبحث الثالث: علاقة الثقافة بالاستعمار عند فرانز فانون	23
أولا: الاستعمار في الدراسات ما بعد الكولونيالية	23
ثانيا: الثقافة ومشروعية الاستعمار	25
الفصل الثاني: الـــهويــة من النقاء إلى الهجنة عند فرانز فانون	
المبحث الأول: مفهوم الهوية	30
أولا: مفهوم الهوية لغة	32
ثانيا: مفهوم الهوية عند الفلاسفة	33
ثالثا: مفهوم الهوية عند فرانز فانون	36
المبحث الثاني: موقف فرانز فانون من الهوية النقية	37
أولا: مفهوم الهوية النقية	37
ثانيا: موقف فرانز فانون من الهوية النقية	40

المبحث الثالث: الهوية الهجينة عند فرانز فانون	44
أولا: مفهوم الهجنة في الدراسات ما بعد الكولونيالية	47
ثانيا: هجنة الهوية عند فرانز فانون	47
الفصل الثالث: الـــهـويـــة الثقافية وأبعادها الكونية عند فرانز فانون	49
المبحث الأول: الثقافة واصول الهوية عند فانون	52
أولا: الدين والهوية	52
ثانيا: التاريخ الهوية	52
المبحث الثاني: نقد المركزية الغربية الثقافية	54
أولا: مفهوم المركزية الغربية ومصادرها	54
ثانيا: نقد المركزية الغربية عند فانون	61
المبحث الثالث: الثقافة والهوية من الخصوصية الى الكونية عند فانون	68
أولا: مفهوم الكونية	68
ثانيا: الهوية الثقافية من الخصوصية الى الكونية	70
خاتمة	74
قائمة المصادر والمراجع	78
فهرس الموضوعات	86

الملخص باللغة العربية

يرى فانون أن الاستعمار يسعى للقضاء على هوية الشعوب لأنه أدرك تمام الإدراك أن قوة الشعوب تكمن في ثقافتها. وبالتالي ينبغي تفكيك نسيج وحدتها؛ كما أنه أعطى قيمة وأهمية كبيرة للثقافة الوطنية واعتبرها النواة الأولى لتشكيل الثقافة القومية نظرا لاشتراكها في عناصر الثقافة.

كما أكد أن الهجنة أهم ما توصل إليه أصحاب الدراسات ما بعد الكولونيالية. ذلك لأن الهوايات والثقافات تشهد عبر التاريخ كل أنواع الاختلال والامتزاج؛ وبالتالي لا وجود لهوية نقية.

كما كان أبرز نقاد النظرية المركزية الغربية؛ واعتبرها مجرد أسطورة من تأسيس الغرب تسعى للحفاظ على قوته وسلطته وهيمنته الاستعمارية.

الملخص باللغة الفرنسية:

Fanon croit que le colonialisme cherche à éliminer l'identité des peuples parce qu'il a pleinement compris que la force des peuples réside dans leur culture.

Par conséquent, le tissu de son unité devrait être démantelé, car il accordait une grande valeur et une grande importance à la culture nationale et la considérait comme le premier noyau pour la formation de la culture nationale en raison de sa participation aux éléments de la culture.

Il a également souligné que l'hybridité est la découverte la plus importante des études postcoloniales

En effet, tout au long de l'histoire, les loisirs et les cultures témoignent de toutes sortes de confusions et de confusions ; Il n'y a donc pas d'identité pure.

Il était également le critique le plus éminent de la théorie centrale occidentale; Il considérait cela comme un mythe de la fondation de l'Occident cherchant à maintenir sa puissance, son pouvoir et sa domination coloniale.

الملخص باللغة الإنجليزية

Fanon believes that colonialism seeks to eliminate the identity of peoples because he fully realized that the strength of peoples lies in their culture.

Therefore, the fabric of its unity should be dismantled, as it gave great value and importance to national culture and considered it the first nucleus for the formation of national culture due to its participation in the elements of culture.

He also stressed that hybridity is the most important finding of post-colonial studies

This is because, throughout history, hobbies and cultures witness all kinds of confusion and confusion; Hence there is no pure identity.

He was also the most prominent critic of Western central theory; He considered it just a myth from the founding of the West seeking to maintain its power, power and colonial dominance.